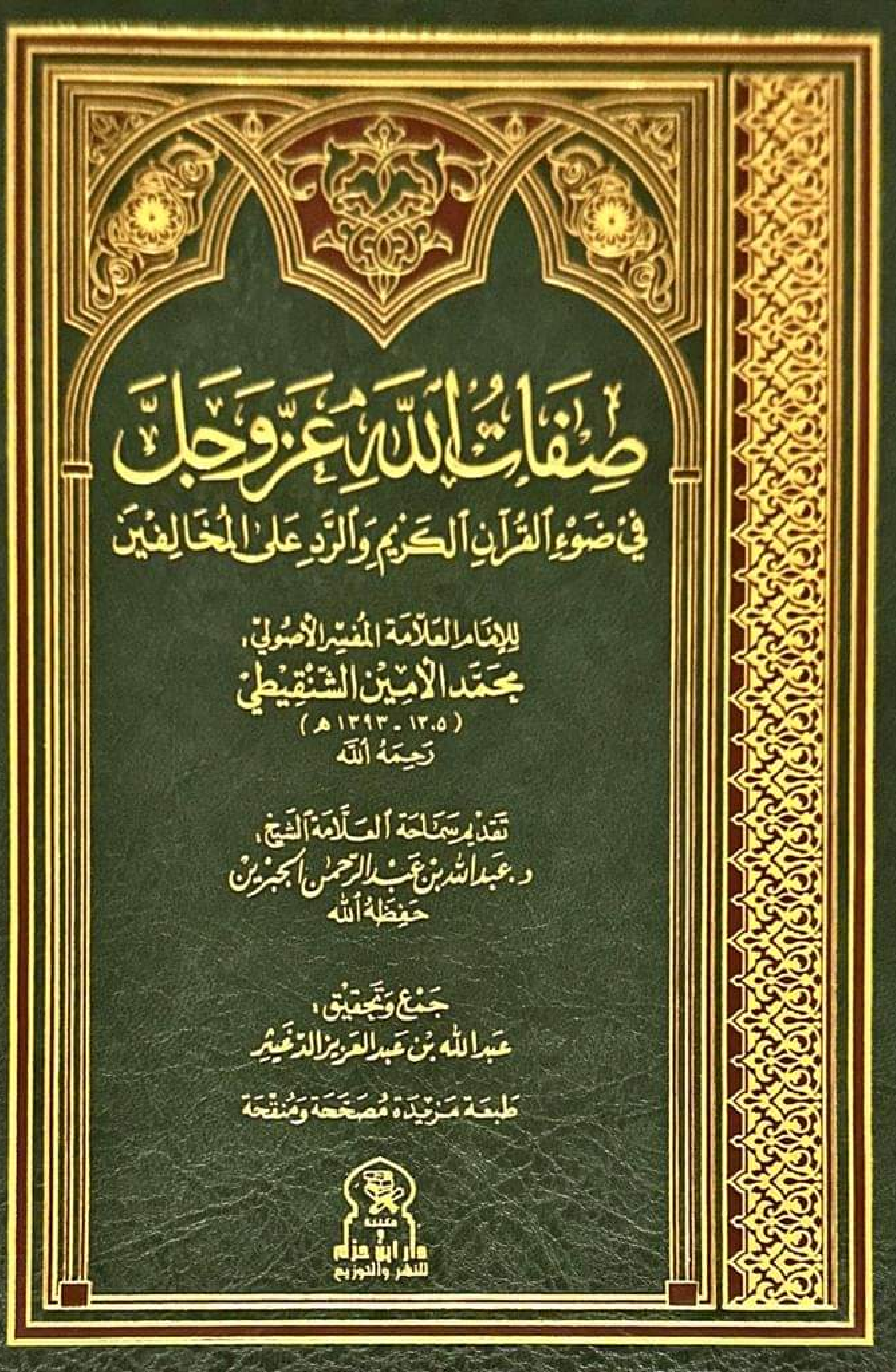


صفات الله عز وجل
في ضوء القرآن الكريم والرد على المخالفين
للإمام العلامة المفسر الأصولي
محمد الأمين الشنقيطي
(١٣٠٥ - ١٣٩٣ هـ)
رحمه الله
تقديم سماحة العلامة الشيخ
د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
حفظه الله
جمع وتحقيق
عبدالله بن عبدالعزيز الدغيثر
طبعة مزيدة مصححة ومنقحة
دار ابن حزم للنشر والتوزيع

صِفَاتُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

فِي ضَوْءِ ٱلقُرْآنِ ٱلكَرِيمِ وَٱلرَّدِ عَلَى المُخَالِفِينَ

لِلإِمَامِ العَلَّامَة المُفَسِّر الأُصُولِيّ:

مُحَمَّد الأَمِين الشِّنْقِيطِي

(١٣٠٥ - ١٣٩٣هـ)

رَحِمَهُ ٱللهُ

تَقْدِيم سَمَاحَة ٱلعَلَّامَة الشَّيْخ:

د. عَبْدالله بن عَبْدالرَّحْمن الجِبْرِين

حَفِظَهُ ٱللهُ

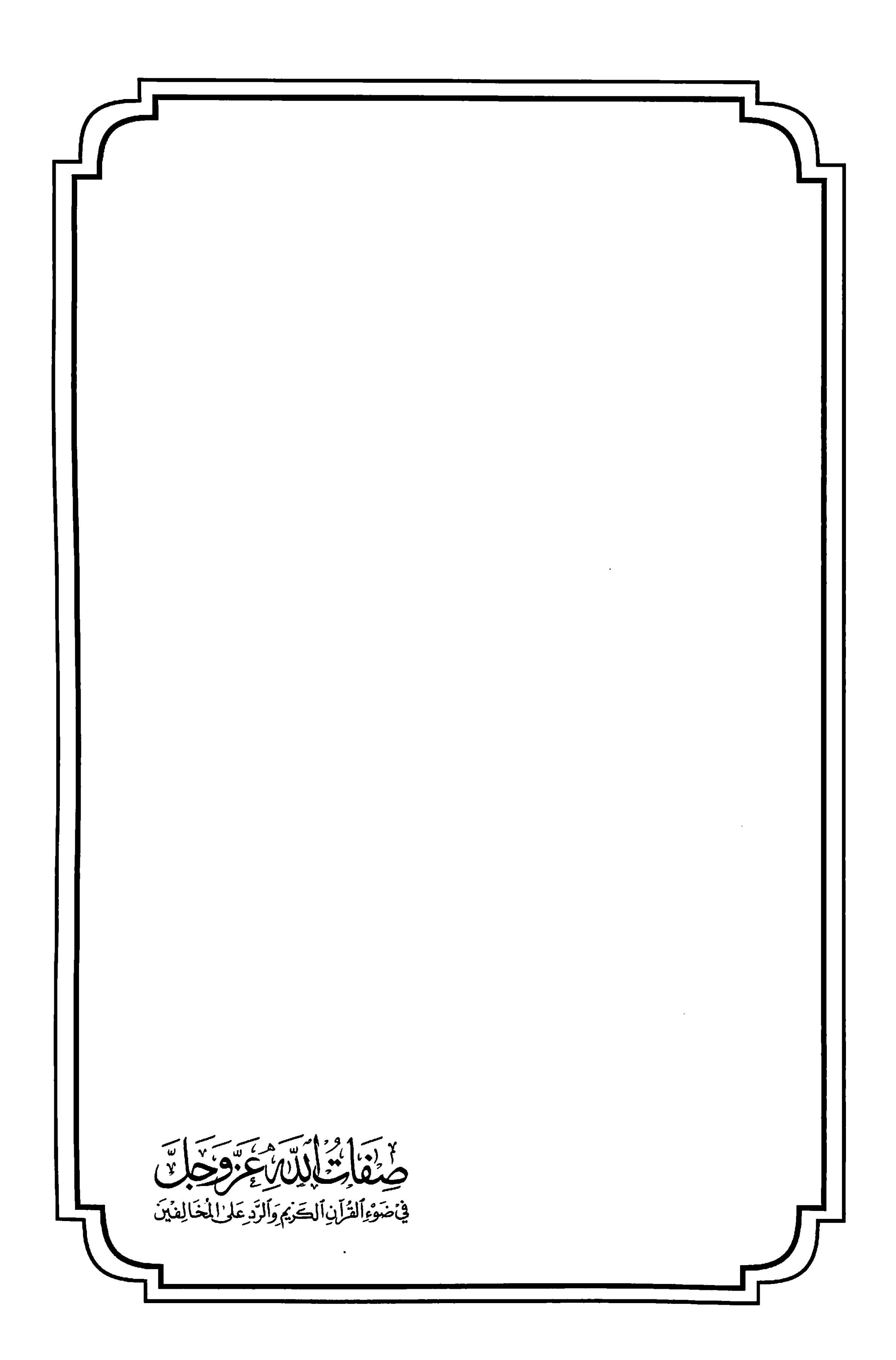
جَمْع وَتَحْقِيق:

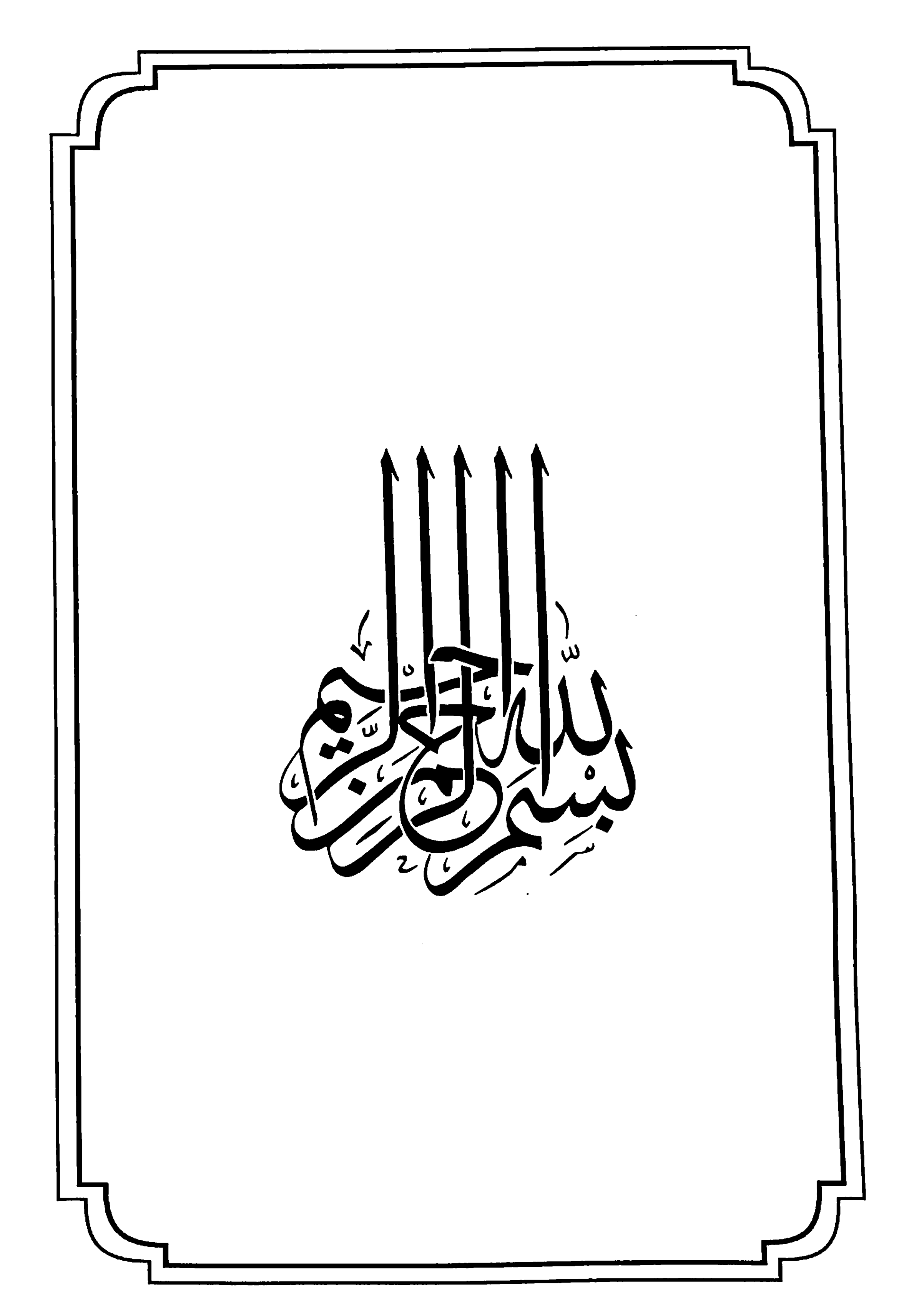
عَبْدالله بن عَبْدالعَزِيز الدُّغَيْثِر

طَبْعَة مَزِيدَة مُصَحَّحَة وَمُنَقَّحَة






صفات الله عز وجل
في ضوء القرآن الكريم والرد على المخالفين


بسم الله الرحمن الرحيم

ح مكتبة دار ابن حزم ، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشنقيطي ، محمد الأمين
صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والرد على المخالفين / محمد الأمين الشنقيطي ؛ عبدالله بن عبدالعزيز الدغيثر
ط٢ - الرياض ، ١٤٢٧هـ
١٥٥ص ؛ ٢٤ سم
ردمك : ٦-٧٩٥-٠٩٩٦٠
١- الأسماء والصفات - الألوهية أ- الدغيثر ، عبدالله عبدالعزيز (محقق)
ب- العنوان .
ديوي : ٢٤١ ٣٦٨/١٤٢٧
رقم الإيداع : ٣٦٨/١٤٢٧
ردمك : ٦-٧٩٥-٠٩٩٦٠

الطبعة الثانية
١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع
ص.ب : ٢٢٥٦٦ الرمز البريدي : ١١٤١٦
الرياض - شارع السويدي العام - هاتف وفاكس ٤٢٧٥١١٧ جوال ٠٥٠٣١٢٢٩٣٥
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

[عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دُنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » . متفق عليه .

قال الإمام النووي رحمه الله : « روينا عن الإمام أبي سعيد عبدالرحمن ابن مهدي رحمه الله تعالى أنه قال : من أراد أن يُصنِّف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث ، وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : كان المتقدِّمون من شيوخنا يستحبُّون تقديمَ حديث « الأعمال بالنية » أمام كل شيء يُنشأ ويُبتدأ من أمور الدين لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها »(*) .

* * *

(*) الأذكار للإمام النووي ، ص٩-١٠ ، طبعة دار ابن حزم ، بيروت .

]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه

وبعد فقد قرأت هذه الرسالة التي نقلها الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنيزي عن كتب شيخنا العلامة النحرير الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي فيما يتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته وهي مما يبين معتقد السلف الصالح وأهل السنة والجماعة وما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم تبارك وتعالى مما عرفوه من دلالة القرآن الكريم وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة التي لا تحتمل التأويل ومنها أن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم وما فهمه واستنبطه سلف الأمة وأئمتها من النصوص الصريحة الثابتة ومما يدل على أن فضيلة الشيخ محمد الأمين رحمه الله تعالى على علم معتقد أهل السنة ولو كان معتقد الأشاعرة هو المشتهر قديما في بلاده التي نشأ فيها لكنه تبصر وتدبر القرآن والسنة فهداه الله تعالى إلى سبيل الحق كما تدل عليه هذه الرسالة التي هي من مؤلفاته ومراجعها موجودة مشتهرة فلعل من قرأها من الأشاعرة أن يعرف الحق ويدين به والله تعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٠/٢/١٤٢٢هـ

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حفظه الله

الحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

وبعد ، فقد قرأت هذه الرسالة التي نقلها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الدغيثر عن كتب شيخنا العلاَّمة النِّحرير الشيخ محمد أمين الجكني الشنقيطي فيما يتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته .. وهي مما يبيِّن معتقد السلف الصالح وأهل السنة والجماعة وما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم تبارك وتعالى ، مما عرفوه بدلالة القرآن الكريم وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التي لا تحتمل التأويل .. وفيها أن الله تعالى لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به نبيه ﷺ وما فهمه واستنبطه سلف الأمة وأئمتها من النصوص الصريحة الثابتة .. ومما يدل على أن فضيلة الشيخ محمد الأمين رحمه الله تعالى على معتقد أهل السنة ولو كان معتقد الأشاعرة هو المشتهر قديماً في بلاده التي نشأ فيها لكنه تبصَّر وتدبَّر القرآن والسنة، فهداه الله تعالى إلى سبيل الحق كما تدل عليه هذه الرسالة التي هي من مؤلفاته ومراجعها موجودة مشتهرة، فلعلَّ من قرأها من الأشاعرة أن يعرف الحق ويدين به، والله تعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

١٠/ ٢/ ١٤٢٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب : « صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والرد على المخالفين » لفضيلة الشيخ العلامة : محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ .

وقد تمّيزت هذه الطبعة بميزات عدة ، منها :

١- إضافة زيادات علمية من كلام الشيخ حول موضوع صفات الله عز وجل .

٢- إضافة بعض الحواشي والتعليقات المفيدة من كلام أهل العلم.

٣- توثيق نصوص كلام الشيخ رحمه الله قدر الإمكان .

٤- تصحيح الأخطاء المطبعية، وهذا في الغالب لا يسلم منه كتاب.

٥- وضع فهارس عامة للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية، والأعلام ، والفِرَق .

وأما الطبعة الأولى فقد طُبع منها خمسة آلاف نسخة، وقد نفد معظمها خلال سنتين من تاريخ الطبع .

ومن بركة هذا الكتاب أنه تم تزويد طلاب المعاهد الإسلامية في روسيا الاتحادية بكميات منه ، وكذا المعاهد الإسلامية في أندونيسيا .. وإن دلَّ هذا فإنما يدل على إخلاص مؤلفه الشيخ / محمد الأمين وصدق نيته الصالحة في تقييد العلم النافع ونشره.

أسأل الله عز وجل أن يقيّض لهذه الرسالة من يتصدى لها من العلماء الأفاضل بشرحها شرحاً وافياً ليعم نفعها المسلمين .

وكما أسأله عز وجل أن يجزي الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ خير الجزاء على ما بذل من العلوم النافعة خدمةً للإسلام والمسلمين، إنه سميع مجيب الدعاء .

كتبه المفتقر إلى عفو ربه

عبدالله بن عبدالعزيز الدغيثر

الرياض في ١٢/ ١١/ ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، وينهونه عن الردى، ويصبرون منهم على الأذى .. يُحيُون بكتاب الله الموتى، وبسنة رسول الله ﷺ أهل الجهالة والردى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدَوه، فما أحسن آثارهم على الناس! وما أقبح أثر الناس عليهم! .

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالِّين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، يقولون على الله غير الحق، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[1] .

أما بعد : فإن العلم بصفات الله عز وجل من أهم العلوم وأعظمها، إذ كيف لمؤمن أن يعبد ربه عز وجل وهو لا يعرف من صفاته شيئاً ! فالذي مثلاً لا يعرف ربَّه بأنه فوق سماواته مستوٍ على عرشه، فإنه يكون ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده، فمعرفة صفات الله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى تبعث انشراحاً في القلب

(١) مقتبسة من خطبة الإمام أحمد رحمه الله في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» .

وطمأنينة، وقوةً في الإيمان ويقيناً .

وأما من كان على عكسه فهو حائر بين الظلمات، ضائقٌ صدره، يتقلَّبُ من حال إلى حال، نعوذ بالله من الضلال .

ولَمَّا كان هذا المبحث من المباحث التي كثُرَ فيها الكلام والجدل بين الناس ، بين مثبتٍ لله عز وجل صفاته على الوجه اللائق به وبين محرِّفٍ أو مؤوِّلٍ أو معطِّلٍ أو نافٍ عن الله عز وجل صفاته ونعوته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ ؛ قمتُ بجمع ما يتعلق بهذا المبحث لعَلَمٍ من أعلام الأمة وهو فضيلة الشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي، فقد قام رحمه الله بتبيين معتقد السلف الصالح في إثبات صفات الله عز وجل على الوجه اللائق به، والردِّ على المخالفين من أهل الضلال والأهواء .

وبعد أن جمعت ما قاله رحمه الله في إثبات معتقد السلف من خلال اطلاعي على تفسيره عند آيات الصفات والاستماع لأشرطته تكونت هذه المادة العلمية بين يدي ، فقمتُ بترتيبها حسب اجتهادي وقدرتي، ووضعتُ ترجمةً مختصرة لفضيلة الشيخ الشنقيطي، وخرَّجتُ الآيات والأحاديث من مصادرها، ثم ذكرتُ بعض التعليقات النفيسة لبعض أهل العلم فيما يتعلق بهذا المبحث، وقمتُ بالتعريف بالفِرق التي ورد ذكرها والترجمة للأعلام. واستدللتُ على بعض الصفات التي لم يذكر الشيخ رحمه الله دليلاً عليها، ووضعتُ عناوين للمباحث المهمة ثم

قائمة للمراجع وفهرساً للموضوعات .

والله أسأل أن ينفع بها المسلمين، وأن يغفر لمؤلفها وجامعها ولمن قدَّم لها، ولمن قرأها وانتفع بشيء منها، أو دلَّ عليها .. إنه سميع مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه المفتقر إلى مغفرة ربه
عبدالله بن عبدالعزيز الدغيثر
الرياض . ص.ب ٨٩١٨٠
الرمز : ١١٦٨٢

نبذة عن حياة الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى

* **اسمه ونسبه.**

هو الإمام العالم الجليل المفسر الأصولي الشهير « محمد الأمين بن محمد المختار، اسمه واسم أبيه علم مركب من اسمين، وذِكْرُ محمد «للتبرك».. ابن عبدالقادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك وهذا من أولاد كريز بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الأبر جد القبيلة الكبيرة المشهورة والمعروفة بالجكنيين، ويُعرفون بـ« تجكانت »، ولقبه: آبّا بمد الهمزة وتشديد الباء من الإباء . وأما نسب قبيلة الجكنيين فيرجع إلى قبيلة «حِمْيَر»، كما قال شاعرهم:

يا قائلاً طاعناً في أننا عرب قد
كذّبتك لنا لُسْنٌ وألوانُ
وَسْمُ العروبةِ بادٍ في شمائلنا
وفي أوائلنا عِزٌّ وإيمانُ
آسادُ حِمْيَرَ والأبطالُ من مُضَرٍ
حُمْرُ السُّيوفِ فما ذلُّوا ولا هانُوا(١)

---

(١) انظر : تفسير أضواء البيان، المقدمة، صفحة : ث . نشر مكتبة ابن تيمية .

* **ولادته ونشأته:**

وُلِدَ رحمه الله في سنة ١٣٠٥هـ وكان مسقط رأسه عند ماء يسمى «تنبه» من أعمال مديرية « أكيفا » من القطر المسمى بـ« شنقيط »، وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن .

وأما نشأته فقد نشأ رحمه الله في بيت علم وكرم وهذا هو سجية قبيلة الجكنيين، وعاش طفولته يتيماً، وها هو رحمه الله يقول عن نفسه : « توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء عمَّ، وترك لي ثروة من الحيوان والمال وسكنت عند أخوالي، وحفظت القرآن على خالي عبدالله بن محمد المختار.. وعمري آنذاك عشر سنوات، وتعلَّمت رسم المصحف العثماني على ابن خالي سيدي محمد بن أحمد بن محمد المختار . وقرأتُ عليه التجويد في مقرأ نافع برواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق وقالون من رواية أبي نشيط ؛ فأخذت بذلك عنه سنداً إلى النبي ﷺ وعمري ستة عشر سنة » .

* **عقيدته:**

إن المتأمل في مؤلفات الشيخ رحمه الله وخاصة تفسيره « أضواء البيان » يتضح له أن الشيخ رحمه الله كان على عقيدة السلف الصالح، بل إنه قام بتقرير عقيدة السلف في تفسيره وفي بعض رسائله، وكما قام بالرد على المخالفين من أهل البدع والضلال .

*** مذهبه الفقهي:**

وبما أن المذهب المالكي كان هو المذهب السائد في بلاد الشيخ لذا كان رحمه الله مهتماً بدراسته ؛ فقد بدأ في دراسة مختصر خليل على الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن محمد الأخرم ، وقد ألف رحمه الله نظماً في فروع مذهب الإمام مالك رحمه الله .

وكان يأتيه الحُجَّاج والزوّار من بني قومه فيقول لهم : « أنا المالكي لا أنتم » يقصد بذلك أخذه بالدليل مُتَّبعاً في ذلك الإمام مالك رحمه الله ، وليس من باب التعصب المذهبي الذي يكون بدون دليل .

*** غزارة علمه وسعة اطلاعه:**

لقد كان رحمه الله بارعاً في علوم كثيرة ، ومن أهمها : علوم التفسير والأصول واللغة والفقه والعقيدة ، وكانت حافظته قوية يُلاحظها كل مستمع لدروسه في استحضار الآيات والمسائل والشواهد الشعرية .

وكان رحمه الله يقول : « لا توجد آيةٌ في القرآن إلا درستها على حدة» اهـ.

وقال أيضاً : « كل آية قال فيها الأقدمون شيئاً فهو عندي » .



* **أعماله وجهوده:**

قال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله : كانت أعماله رحمه الله كعمل أمثاله من العلماء .. الدرس والفتيا ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه ، وبالرغم من وجود الحاكم الفرنسي إلا أن المواطنين كانوا عظيمي الثقة فيه فيأتونه للقضاء بينهم، ويفدون إليه من أماكن بعيدة أو حيث يكون نازلاً .

وأمَّا أعماله في بلاد الحرمين الشريفين حرسها الله من كل سوء وفتنة ؛ فقد قام بتفسير كلام الله عز وجل في مسجد رسول الله ﷺ بأمر من جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكان يقول : ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله ﷺ .

ثم جاء إلى الرياض فعمل عضواً في هيئة التدريس بالمعهد العلمي، وفي كليتي الشريعة واللغة العربية، ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية .. وعندما افتتح المعهد العالي للقضاء بالرياض كان رحمه الله ممن يذهب إليه لإلقاء المحاضرات المطلوبة في التفسير والأصول، ثم أصبح بعد ذلك أحد أعضاء هيئة كبار العلماء في هذه البلاد المباركة، وكان أحد أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

وكان رحمه الله لا يُحابي أحداً في دين الله ، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ذلك رده على المندوب الإيراني عندما تقدَّم للرابطة بطلب

الاعتراف بالمذهب الجعفري، فقال قولاً حكيماً بليغاً في غاية الحكمة والإقناع[1] .

*** أشهر مؤلفاته:**

١- في أنساب العرب .

٢- رجز في فروع مذهب الإمام مالك .

٣- ألفية في المنطق .

٤- نظم في الفرائض .

٥- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز .

٦- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .

٧- مذكرة الأصول على روضة الناظر .

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .

٩- آداب البحث والمناظرة .

١٠- آيات الصفات، وهي محاضرة ألقاها فضيلته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

١١- حكمة التشريع .

١٢- المثل العليا .

---

(١) ومن أراد الاطلاع عليه فليرجع إلى ما كتبه عنه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله، في أول مجلد من تفسير أضواء البيان، رقم الصفحة (ض)، نشر مكتبة ابن تيمية.

١٣- المصالح المرسلة .

١٤- حول شبهة الرقيق .

١٥- اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي .

١٦- ورد الخدود على مراقي السعود .

١٧- بيان الناسخ والمنسوخ من آي الذكر الحكيم .

*** ورعه وزهده في الدنيا رحمه الله :**

لقد كان رحمه الله زاهداً في دنياه، لم تكن تساوي الدنيا عنده شيئاً، فلم يسبق له أن طلب عطاءً أو مكافأةً ونحوها ، بل ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما يحصل عليه من مال لا يُبقيه عنده ، بل يبعث به إلى الفقراء والمحتاجين من الأرامل واليتامى والمنقطعين إلى كل مكان سواءً في مكة والمدينة أو غيرهما .

وكان يقول : « لقد جئتُ من بلادي بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة وأخشى عليه الضياع ؛ فسُئل عنه ، فقال : القناعة » .

وقال أيضاً : « وأنا أقدَرُ الناس على أن أكون أغنى الناس ، وقد تركت الدنيا لأني أعلم أنه إذا تلطخ بها العبد لا ينجو منها ، إلا من عصمه الله » اهـ .

وكان يتورع عن الفُتيا، وإذا اضطُرَّ قال : لا أتحمل في ذمتي شيئاً، العلماء يقولون كذا وكذا .

ولم يكن يغتاب أحداً أو يسمح بغيبة أحدٍ في مجلسه، وكثيراً ما يقول لإخوانه «تكايسوا» أي من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة .

*** أشهر تلاميذه:**

١- الإمام الراحل عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى .

٢- الإمام المحدّث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله .

٣- الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله .

٤- الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله .

٥- الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله .

٦- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حفظه الله .

٧- الشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله .

٨- الشيخ صالح محمد اللحيدان حفظه الله .

٩- الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد حفظه الله .

١٠- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الغديان حفظه الله .

١١- الشيخ عبدالله بن إبراهيم الفنتوخ حفظه الله .

*** ثناء العلماء عليه:**

قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : « مُلِئَ علماً من رأسه إلى أخمص قدميه » .. وقال أيضاً : « آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب» .

وقال عنه الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله : « كان ذا علم واسع بالتفسير واللغة وأقوال العلماء في التفسير ، وكان حديثه لا يُملْ» .

وقال عنه المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله : « كان رحمه الله متواضعاً لا يُحب التعاظم والأُبَّهة ، فأصغر طالب يستطيع أن يتكلم معه ، وهذا من سمت أهل العلم والأدب » .

وقال عنه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : « كان الشيخ رحمه الله تعالى من الزهَّاد حتى إنك إذا رأيته لا تقول إلا أنه رجلٌ من أهل البادية»[١] .

وقد حدثنا شيخنا عبدالله بن جبرين حفظه الله : أن الشيخ الشنقيطي رحمه الله قد أُدخل على أحد الملوك الجبابرة الظلمة فقال للشيخ : يا شنقيطي .. أنا كافرٌ بربك ، فادعو ربك أن يقتلني . قال الشيخ رحمه الله : فلم أردّ عليه بشيء ، ولم أنتبه إلا ورقبتُه قد دُكَّت بالأرض فخرَّ صريعاً .. فجاءني وزراؤه وحاشيته يطلبون مني ألاّ أدعو عليهم ، فقلت لهم : إني لَم أدعُ على هذا الملك ، وإنما هو أمرُ الله عز وجل .

وقال عنه الشيخ بكر أبوزيد حفظه الله : « لو كان في هذا الزمن أحدٌ

---

(١) انظر شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين رحمه الله .

يستحق أن يُسمَّى شيخ الإسلام لكان هو » .

وقال عنه أيضاً : « كان شيخنا متقلّلاً من الدنيا ، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله : لقد جئتُ من البلاد شنقيط ومعي كنزٌ قَلَّ أن يُوجد عند أحد وهو القناعة، ولو أردتُ المناصب لعرفتُ الطريق إليها، ولكنني لا أُوثر الدنيا على الآخرة ، ولا أبذلُ العلمَ لنيل المآرب الدنيوية»(١) .

*** وفاته رحمه الله :**

ففي ضُحى يوم الخميس الموافق ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى الإمام الفذ عَلَم الأعلام ، رفيع المقام ، كريم السجايا ، حميد الخصال ، الشيخ الجليل محمد الأمين الشنقيطي ، وكانت وفاته في مكة المكرمة وهو عائد من الحج .

ودُفن في مقبرة المعلاة ، وصلَّى عليه الإمام الراحل الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله في المسجد الحرام ، وأقيمت عليه صلاة الغائب في المسجد النبوي وصلى عليه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح رحمه الله إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف .

وقد رثاه كثيرٌ من طلاب العلم بقصائد مؤثرة ذكرها الأخ عبدالرحمن

---

(١) حلية طالب العلم، للشيخ بكر أبوزيد .

السديس في كتابه « ترجمة لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي » ، ومنها لابن عمه أحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي حيث رثاه بستةٍ وعشرين بيتاً يقول في أولها:

مـــوتُ الإمـــام الحـــبر مـــن جاكـــاني
رُزءٌ ألَـــــمَّ بأُمَّـــــةِ العدنـــــاني

يـــــا للمصـــــيبة للـــــبرية أنهـــــا
فَقَـــدَتْ عظـــيمَ مـــناهلِ العـــرفانِ

شـــيخاً أضـــاءَ مـــن العقـــيدة نـــيِّراً
أرســـاه فـــوق دعـــائم الـــبرهان[1]

وقد رثاه الشيخ محمد بن مدين الشنقيطي في ثلاثة عشر بيتاً، منها :

الله أكـــبر مـــات العـــلمُ والـــورعُ
يـا ليـتَ مـا قـد مضـى مـن ذاك يُرْتجعُ

يـــبكي الكـــتاب كـــتابَ الله غيبـــته
كـــذا المـــدارس والآداب والجُمَـــعُ

مفسِّـــرُ الذكـــرِ الحكـــيمِ ومـــا
مِـــنَ الحديـــث إلى المخـــتار يُـــرتفعُ

---

(١) انظر كتاب : « ترجمة لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي » ص١٨٠ .

أخلاقــه الشَّــهدُ ممــزوجاً بمــاء صــفا
ومـــا يُغــيِّرُ طـــبعاً زانـــه طـــبعُ
فهــو الإمــام الــذي مــن غــيره تــبعُ
لــه وهــل يســتوي المتبــوع والتــبعُ(١)

رحم الله الشيخ الشنيقطي، فقد كان قدوةً حسنة لطلاب العلم في أمور الحياة العلمية والعملية ، وقد خلَّف وراءه ابنين فاضلين ، أحدهما الشيخ الدكتور عبدالله بن محمد الأمين ، عميد كلية القرآن بجامعة أم القرى في مكة المكرمة ، والآخر هو الشيخ الدكتور محمد المختار بن محمد الأمين أحد أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية.

نسأل الله العلي القدير أن يتغمد الشيخ بواسع رحمته ، وأن يجزيه خير الجزاء على خدمة الإسلام والمسلمين، إنه سميع مجيب الدعاء* .

* * *

---

(١) انظر المصدر السابق، ص١٨٦-١٨٧ .

* مختصر ما كتبه الشيخ عطية محمد سالم في أول مجلد من تفسير أضواء البيان . طبعة مكتبة ابن تيمية ، وفي مقدمة كتاب الشنقيطي « رحلة الحج » ط. دار ابن تيمية .. وما كتبه الأخ عبدالرحمن السديس في كتابه « ترجمة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي » . ط. دار الهجرة . وما كتبه الأخ : خالد السبت في كتابه «العذب النمير» في المجلد الأول ط. دار ابن عفان .

« فائـــدة »

[قال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله : « قد حضرت مجلساً للشيخ محمد الأمين الشنقيطي في بيته مع الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز وسأله عن الصحيح في معنى الإحصاء في قولـه عليه الصلاة والسلام : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » ؛ فكان حاصل ما ذكر في ذلك المجلس ما يلي: أن التعيين لم يأتِ فيه نص صحيح ، وأن الإحصاء أو الحفظ لا ينبغي حمله على مجرد الحفظ للألفاظ غيباً ، ولكن يحمل على من أحصى معانيها وحفظها من التحريف فيها والتبديل والتعطيل ، وحاول التخلُّق بحسن صفاتها كالحلم والعفو والرأفة والرحمة والكرم .. ونحو ذلك، والحذر من مثل الجبار والقهار، والمراقبة في مثل : الحسيب والرقيب ، وكذلك التعرض لمثل التَّواب والغفور بالتوبة وطلب المغفرة، والهادي والرزاق بطلب الهداية والرزق[1] . اهـ .]

---

(١) انظر أضواء البيان ، في تفسير الآية ٢٢ من سورة الحشر .

وهذا هو معنى قولـه تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي : اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به .. تقول مثلاً : يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهدني .. إلخ. وقد ذكر ذلك القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة .

[قال الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته(١) :

لسنا نُشبِّه ربنا بصفاتنا   إن المشبِّه عابدُ الأوثان
كلاَّ ولا نُخْليه من أوصافه   إن المعطِّلَ عابدُ البهتانِ
من شَبَّه اللهَ العظيم بخلقهِ   فهو الشبيهُ بمشركٍ نصراني
أو عطَّل الرحمن من أوصافهِ   فهو الكفورُ وليسَ ذا إيمان

* * *

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في سلم الوصول(٢) :

وكُلُّ ما لهُ من الصفاتِ   أثبتها في مُحكم الآياتِ
أو صح في ما قاله الرسولُ   فحقُّهُ التسليمُ والقبولُ
نُمرُّها صريحةً كما أتتْ   مع اعتقادنا لما لهُ اقتضتْ
من غير تحريفٍ ولا تعطيل   وغير تكييفٍ ولا تمثيل
بل قولنا قول أئمة الهدى   طُوبى لمن بهديهم قد اهتدى]

---

(١) شرح القصيدة النونية للدكتور/ محمد خليل هراس (٢/ ٦٢) .

(٢) معارج القبول (١/ ٣١٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإنه يجب أن نوضح لكم في ضوء القرآن العظيم معتقد السلف والطريق الذي هو المنجاة نحو آيات الصفات .

ولتعلموا أن كثرة الخوض والتعمُّق في آيات الصفات ، وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع يعتبر هذا من البدع التي يكرهها السلف رحمهم الله تعالى(١) .

---

(١) ومن ذلك ما وقع بين صُبيغ التميمي وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث إن صبيغاً جعل يكثر الأسئلة في متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه ، فأُتي به فضربه حتى شجَّه فسال الدمُ من رأسه ، وقد عقَّب الحافظ ابن كثير على هذه القصة وقال : إنها موقوفة على عمر رضي الله عنه وهي مشهورة، وإنما ضربه؛ لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً . والله أعلم .
وقد جاء رجل إلى الإمام مالك يسأله عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى؟ ؛ فقال رحمه الله : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا ضالاً ، =

ثم اعلموا أن مبحث آيات الصفات قد دلَّ القرآن العظيم على أنه يتركز على أسس من أتى بها جميعاً فقد وافق الصواب والحق ، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ ، وأصحابه ، والسلف الصالح، ومن أخلَّ بأحدها فقد ضلَّ .

[الأسس التي يتركز عليها مبحث آيات الصفات] :

الأمر الأول : هو تنزيه الله جلَّ وعلا عن أنْ يُشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين ، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(1) .

= وأمر أن يُخرج من مجلسه .

وقال أيضاً رحمه الله : أهل البدع هم الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون .

وسأل رجلٌ يزيدَ بن هارون عن قوله ﷺ : « **إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر** » أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٤) ؛ فقال : ما أشبهك بصُبيغ وأحوجك إلى مثل ما فُعِل به ، ويلك ! ومن يدري كيف هذا ؟! .. الخ .

انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ، ص١٨٠-٢٤٠ .

قلت : إن صفة الاستواء من الصفات الفعلية لله تعالى ، وقد بيَّنَ اللهُ عز وجل في كتابه العزيز أن الذي يُسأل عن فعله هو المخلوق لا الخالق قال تعالى : ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٣].

(1) الآية رقم ١١ من سورة الشورى .

وقولـه تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[١] .

وقولـه تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[٢] .

الأمر الثاني : الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه ؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ، قال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[٣] .

وما وصفه به رسول الله ﷺ ؛ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال في حقه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[٤] .

الأمر الثالث : قطع الإدراك عن حقيقة كيفية هذه الصفات ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[٥] ؛ فيلزم على كل مكلَّف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ، ويُنزِّهَ ربَّه جلَّ وعلا عن أن تُشبه صفته صفةَ الخلق ؛ لأن من تنطَّع[٦] بين يدي ربٍّ

---

(١) الآية رقم ٤ من سورة الإخلاص .

(٢) الآية رقم ٧٤ من سورة النحل .

(٣) الآية رقم ١٤٠ من سورة البقرة .

(٤) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم .

(٥) الآية رقم ١١٠ من سورة طه .

(٦) معنى التنطع في الكلام هو التعمق فيه مأخوذ منه ، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٠) من رواية ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «هلك =

السموات والأرض وتجرأ هذه الجرأة العظيمة ، ونفى عن ربه وصفاً أثبته ربُّه لنفسه فهذا يعتبر مجنوناً !!

فالله جلَّ وعلا يُثبت لنفسه صفات كمال وجلال ، فكيف يليق بمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السموات والأرض ويقول : هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا وكذا.. فأنا أُءَوِّله وأنفيه وآتي ببدله من تلقاء نفسي من غير إسنادٍ إلى كتاب أو سنة .. سبحانك هذا بهتانٌ عظيم ! .

ومن ظن أن صفة خالق السموات والأرض تُشبه شيئاً من صفات الخلق فهذا أيضاً مجنون جاهل وملحد ضال .

ومن آمن بصفات ربِّه جل وعلا منزِّهاً ربَّه عن مشابهة صفات الخلق فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال ، والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالمٌ من ورطة التشبيه والتعطيل .

= المتنطعون » . قال الخطابي : هم الخائضون فيما لا تبلغه عقولهم . ذكره صاحب فتح المجيد (٢٣٨-٢٣٩). وقال ابن منظور: هم المتعمقون المغالون في الكلام، الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبراً .

ورُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «إياكم والتنطع والاختلاف » .

وقال ابن الأثير : هو مأخوذٌ من النطع وهو الغار الأعلى في الفم ، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً. انظر لسان العرب مادة (ن ط ع) . وقال في المعجم الوسيط : تنطّع في الشيء أي غالى وتكلّف فيه. (٢/ ٩٣) .

وهذا التحقيق هو مضمون قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١] ، وهذا لم نقله لكم من تلقاء أنفسنا ، وإنما هو تعليم خالق السموات والأرض في المحكم المنزل ؛ لأن الله أوضح هذا في هذه الآية الكريمة غاية الإيضاح ، وبيَّنه غاية البيان .

وهذه الآية فيها تعليمٌ عظيم يُجيب عن جميع الأسئلة ويحل جميع الإشكالات حول الموضوع .

وذلك أن الله قال : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ .

[ظاهر السرِّ في التعبير بقوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾] :

وظاهر السر في تعبيره بقوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ دون أن يقول مثلاً : وهو العلي العظيم ، أو غير ذلك من الصفات الجامعة ؛ أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات ؛ فبيَّن سبحانه أنه متصف بهما ، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى وبين صفات الخلق ، فكأن الله سبحانه وتعالى يُشير للخلق بأن يقول لهم :

---

(١) الآية رقم ١١ من سورة الشورى .

لا تنفوا عني صفة سمعي وبصري لأجل أن الحوادث[1] تسمع وتُبصر، وأن ذلك يعتبر تشبيهاً ، لا وكلا ، بل أثبتُوا لي صفةَ سمعي وبصري على أساس : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ؛ فيكون إثباتك للسمع والبصر إثبات تنزيه عن مشابهة أسماع الخلائق وأبصارهم ، نظراً لقولي قبلُ مقترناً به : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ؛ فأول الآية الكريمة وهو قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ تنزيهٌ تامٌّ عن مماثلة صفات المخلوقين من غير أن يُفضي ذلك التنزيه إلى التعطيل ، وقوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ إيمانٌ بالصفات على الحقيقة إيماناً تاماً من غير أن يُفضي ذلك الإيمان إلى التشبيه ولا إلى تعطيل .

فالله جلَّ وعلا له صفاتٌ لائقةٌ بجلاله وكماله ، والخلق لهم صفات مناسبةٌ لحالهم وعجزهم وفناهم وافتقارهم ، وكل هذا حقٌّ ثابتٌ لا شك فيه ، إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن

---

(١) الحوادث : في هذا الموضع هي المخلوقات ، وسميت بذلك لأن الله أحدثها أي خلقها ، وقد فسر المُحْدَثُ بالمخلوق ابنُ أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية (٢/ ٥٦٢) فقال: «والروح مُحدَثة مخلوقة » ، وكذا ابن القيم في كتابه الروح (٢/ ٥٠١) .
قال الجرجاني رحمه الله في « التعريفات » ص٥٩ : « الحادث : هو ما يكون مسبوقاً بالعدم ، وتُسمى حدوثاً زمانياً ، وقد يُعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ، ويُسمى : حدوثاً ذاتياً » .

تُشبه شيئاً من صفات المخلوقين ، فمن نفى عن الله عز وجل وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز ، أو أثبته له رسوله ﷺ زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا ؛ فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا .. فسبحانك هذا بهتانٌ عظيم ! .

[تقسيم أهل الكلام(١) لصفات الله عز وجل]

ثم اعلموا أن المتكلمين الذين خاضوا في علم الكلام وجاءوا بأدلة يُسمونها أدلة عقلية ركَّبوها في أقيسة منطقية .. قسموا صفات الله جل وعلا إلى ستة أقسام هي :

صفة نفسية ، وصفة سلبية ، وصفة معنى ، وصفة فعلية ، وصفة معنوية ، وصفة جامعة .

والصفات الإضافية تتداخل مع الصفات الفعلية ؛ لأن كل صفة فعلية من مادة متعدية إلى المفعول كالخلق ، والإحياء والإماتة فهي صفة إضافية ، وليست كل صفة إضافية فعلية فبينهما عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان في نحو الخلق والإحياء والإماتة ، وتنفرد الفعلية في نحو

---

(١) أهل الكلام : هم ممن ينتسب إلى الإسلام ، وقد تأثروا بفلسفة اليونان ، ومعظمهم من المعتزلة والأشاعرة ، وقد ذمَّ كثير من السلف والخلف علمَ الكلام ، فذكر الإمام ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية نصوصاً من كلام السلف في ذمِّ علم الكلام.
انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧ ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط .

الاستواء ، وتنفرد الإضافية في نحو كونه تعالى كان موجوداً قبل كل شيء ، وأنه فوق كل شيء ؛ لأن القبلية والفوقية من الصفات الإضافية ، وليستا من صفات الأفعال .

ولا يخفى على من علم القوانين الكلامية والمنطقية ، أن إطلاق النفسية على شيء من صفاته تعالى لا يجوز ، وأن فيه من الجرأة على الله جل وعلا ، ما الله عالِمٌ به ، وإن كان قصدهم بالنفسية في حق الله الوجود فقط فهو صحيح ؛ ولكن الإطلاق الموهم للمحذور في حقه تعالى لا يجوز ، وإن كان المقصود به صحيحاً ؛ لأن الصفة النفسية في الاصطلاح لا تكون إلا جنساً أو فصلاً ؛ فالجنس كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان ، والفصل كالنطق بالنسبة إلى الإنسان ، ولا يخفى أن الجنس في الاصطلاح [قدر مشترك بين أفرادٍ مختلفة الحقائق] كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس والحمار ، وأن الفصل [صفة نفسية لبعض أفراد الجنس ينفصل بها عن غيره من الأفراد المشاركة له في الجنس] كالنطق بالنسبة إلى الإنسان ، فإنه يعتبر صفته النفسية التي تفصله عن الفرس مثلاً المشارك له في الجوهرية والجسمية والنمائية والحساسية ، ووصف الله جل وعلا بشيء يُراد به اصطلاحاً قد بيَّنا لك أنه من أعظم الجرأة على الله تعالى كما ترى ؛ لأنه جل وعلا واحد في صفاته وأفعاله ، ليس بينه وبين غيره اشتراك في شيء من ذاته ولا صفاته حتى يُطلق

عليه ما يُطلق على الجنس والفصل ؛ لأن الجنس قدر مشترك بين حقائق مختلفة ، والفصل هو الذي يفصل بعض تلك الحقائق المشتركة في الجنس عن بعض .. فسبحان رب السموات والأرض وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وأما هذا الكلام الذي يُدرَّس في أقطار الدنيا اليوم بين المسلمين ؛ فإن أغلبهم إنما يثبتون من الصفات سبعَ صفات تسمى صفات المعاني ، وينكرون سائرها من المعاني[1] .

وصفة المعنى عندهم في الاصطلاح ضابطها هي [ما دلَّ على معنىً وجودي قائمٌ بالذات] .

والصفات التي اعترف بها هؤلاء هي :

القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

---

(١) هؤلاء هم من يُسمون بالأشاعرة ، وهم كثير ، منتشرون في أقطار الأرض إلى يومنا هذا ، وبرز منهم علماء في مختلف الفنون ، وهم ليسوا من أهل السنة والجماعة ، وينسبون إلى أبي الحسن الأشعري ، والصحيح أنه رجع عن معتقده هذا ، وتوفي في بغداد سنة ٣٢٤هـ . انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٣) .
وأما هذه الصفات التي أثبتوها ، إنما أثبتوها عن طريق العقل وليس النقل ، وقد ردَّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رداً مفحماً في رسالته «التدمرية» ص٣٣ ، بتحقيق السعوي.

ونفوا غير هذه الصفات من صفات المعاني التي سنُبيِّنها ونبيِّن أدلتها من كتاب الله عز وجل ، وقد أنكر هذه المعاني السبعة المعتزلة[١] وأثبتوا أحكاماً ؛ فقالوا : هو قادرٌ بذاته ، سميعٌ بذاته ، عليمٌ بذاته ، حيٌّ بذاته ، ولم يثبتوا قدرةً ولا علماً ، ولا حياة ، ولا سمعاً ، ولا بصراً .

وهذا مذهب باطل لا يخفى بطلانه وتناقضه على أدنى عاقل ؛ لأنه إذا لم يقمْ بالذات علم استحال أن تقولَ عالِمةٌ بلا علم ، وهو تناقض واضحٌ عند العقلاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾[٢] ردٌّ صريح على المعتزلة النافين صفات المعاني ، القائلين : إنه عليمٌ بذاته لا بصفة قامت بذاته وهي العلم ، وهكذا في قولهم : قادرٌ ، مريدٌ ، حيٌّ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، متكلمٌ ، فإنه في هذه الآية الكريمة أثبت لنفسه صفة العلم بقوله : ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ ، ونظيره قوله : ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[٣] وهي أدلة

---

(١) المعتزلة : من الفرق الكلامية الضالَّة ، وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي يُعتبر مؤسس مذهب الاعتزال . ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٣١هـ . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٤) .

(٢) الآية رقم ٧ من سورة الأعراف .

(٣) الآية رقم ١٦٦ من سورة النساء .

قرآنية صريحة في بطلان مذهبهم .

قال في مراقي السعود :

وعـند فقـد الوصـف لا يشتق وأعــوز المعــتزلي الحــق[1]

وأما الصفات المعنوية[2] عندهم ؛ فهي الأوصاف المشتقة من المعاني السبع المذكورة ، وهي كونه تعالى قادراً ، مريداً ، عالِماً ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً .

والتحقيق : أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بالمعاني .

فإذا عرفتم هذا ؛ فنتكلم على صفات المعاني التي أقروا بها ؛ فنقول : وصفوا الله بالقدرة وأثبتوا له القدرة ، والله جل وعلا يقول في كتابه العزيز : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] .

ونحن نقطع أن لله جل وعلا القدرة على الوجه اللائق بجلاله وكماله ، فكذلك وصف بعض المخلوقين بالقدرة ، فقال تعالى : ﴿إِلَّا

---

(١) متن مراقي السعود ، في فصل الاشتقاق ، البيت الثامن .

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « الصفات المعنوية هي : الملازمة لذات الله التي لم يزلْ ولا يزال متصفاً بها مثل السمع والبصر ... » . القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٨٨) .

(٣) الآية رقم ٢٠ من سورة البقرة .

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾[١] ؛ فأسند القدرة لبعض الحوادث ونسبها إليهم ، ونحن نعلم أن كل ما في القرآن حق ، وأن للخالق جل وعلا قدرة حقيقية تليق بكماله وجلاله ، كما أن للمخلوقين قدرة حقيقية مناسبة لحالهم وعجزهم وفناهم وافتقارهم ، وبين قدرة الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق[٢] ، وقد وصف الله نفسه بالسمع والبصر في غير ما آية من كتابه العزيز فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٣].. وقال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤] ، ووصف بعض الحوادث بالسمع والبصر فقال : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾[٦] .

ونحن لا نشك أن لله جل وعلا سمعاً وبصراً حقيقين يليقان بكماله

---

(١) الآية رقم ٣٤ من سورة المائدة .

(٢) وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قاعدة جليلة وهي : « اتفاق الأسماء لا يُوجب تماثل المسميات » . انظر : الرسالة التدمرية ، ص٢٠ ، ط. مكتبة العبيكان .

(٣) الآية رقم ١ من سورة المجادلة .

(٤) الآية رقم ١١ من سورة الشورى .

(٥) الآية رقم ٢ من سورة الإنسان .

(٦) الآية رقم ٣٨ من سورة مريم .

وجلاله ، كما أن للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقيين مناسبين لحاله وعجزه ، وبين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

ووصف جل وعلا نفسه بالحياة فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[2] ، ووصف أيضاً بعض المخلوقين بالحياة فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾[5] .

ونحن نقطع بأن لله جل وعلا صفة حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله ، كما أن للمخلوقين حياةً مناسبة لحالهم وعجزهم وفناهم وافتقارهم ، وبين صفة الخالق والمخلوق من المخالفة كما بين ذات الخالق والمخلوق .

---

(١) الآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٥٨ من سورة الفرقان .

(٣) الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية رقم ١٥ من سورة مريم .

(٥) الآية رقم ٩٥ من سورة الأنعام .

ووصف الله جل وعلا نفسه بالإرادة فقال : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢] ، ووصف بعض المخلوقين بالإرادة فقال تعالى : ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾[٥] .

ولا شك أن لله إرادةً حقيقيةً لائقة بكماله وجلاله ، كما أن للمخلوقين إرادة مناسبة لحالهم ، وبين الإرادتين من المخالفة كمثل ما بين الذاتين .

ووصف نفسه جل وعلا بالعلم فقال : ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦]، وقال تعالى : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾[٧] ، وقال تعالى : ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾[٨] .

---

(١) الآية رقم ١٦ من سورة البروج .
(٢) الآية رقم ٨٢ من سورة يس .
(٣) الآية رقم ٦٧ من سورة الأنفال .
(٤) الآية رقم ١٣ من سورة الأحزاب .
(٥) الآية رقم ٨ من سورة الصف .
(٦) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة .
(٧) الآية رقم ١٦٦ من سورة النساء .
(٨) الآية رقم ٧ من سورة الأعراف .

ووصف بعض المخلوقين بالعلم فقال : ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾[٢] . ولا شك أن للخالق جل وعلا علماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله محيطاً بكل شيء ، كما أن للمخلوقين علماً مناسباً لحالهم وفناهم وعجزهم وافتقارهم ، وبين علم الخالق وعلم المخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

ووصف نفسه جل وعلا بالكلام فقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٣] ، ووصف بعض المخلوقين بالكلام فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[٤] ، وقال أيضاً : ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ ﴾[٥] .

ولا ريب أن للخالق كلاماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله ، كما أن للمخلوقين كلاماً مناسباً لحالهم .

فهذه صفات المعاني السبع التي يثبتونها ، ولا يخفى على عاقل أن صفات الخالق حق كما أن صفات المخلوق حق ؛ فصفات الخالق لائقة بكماله وجلاله ، وصفات المخلوق مناسبة لعجزه وفناه وافتقاره ، وبين

---

(١) الآية رقم ٢٨ من سورة الذاريات .

(٢) الآية رقم ٦٨ من سورة يوسف .

(٣) الآية رقم ١٦٤ من سورة النساء .

(٤) الآية رقم ٥٤ من سورة يوسف .

(٥) الآية رقم ٦٥ من سورة يس .

الصفة والصفة من المخالفة والمنافاة كما بين الذات والذات .

[ضابط الصفات السلبية عند أهل الكلام] :

وأما الصفات السلبية عندهم فضابطها هي : الصفة التي دلَّت على عدمٍ محض ؛ أي تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله من غير أن تدل على معنىً وجودي زائدٍ على الذات[1] .

وهي عندهم خمس صفات :

القِدَم ، والبقاء ، والوحدانية ، والمخالفة للخلق ، والغنى المطلق ويعبِّرون عنه [القيام بالنفس ويَعنُون به الاستغناء عن المُخَصِّص والمحل] .

وأما الصفة التي تدل على معنى وجودي : فهي المعروفة عندهم بصفة المعنى ، فالقِدَم مثلاً عندهم لا معنى له بالمطابقة إلا سلب العدم السابق ، فإن قيل : القدرة مثلاً تدل على سلب العجز ،

(١) ومعنى السلب : هو النفي بإدخال أداة السلب كقول بعض نُفاة الصفات : ليس بسميع ولا بصير ... إلخ ؛ لأنهم يعتقدون أنه إذا وصفوه بالإثبات فقد شبَّهوه بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفي فقد شبهوه بالمعدومات ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد ردَّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته التدمرية وبيَّن حقيقتهم وضلالهم بتحريفهم الكتاب والسنة . انظر : التدمرية ص١٦ بتحقيق السعوي .

والعلم يدل على سلب الجهل ، والحياة تدل على سلب الموت ، فلماذا لا يسمون هذه المعاني سلبية أيضاً؟ .

فالجواب :

أن القدرة مثلاً تدل بالمطابقة على معنىً وجودي قائمٌ بالذات ، وهي الصفة التي يتأتى بها إيجاد الممكنات وإعدامها على وفق الإرادة ، وإنما سُلبت العجز بواسطة مقدمة عقلية ، وهي أن العقل يحكم بأن قيام المعنى الوجودي بالذات يلزمه نفي ضده عنها لاستحالة اجتماع الضدين عقلاً ، وهذا في باقي المعاني ، والقِدَم في الاصطلاح عندهم عبارةٌ عن : [سلب العدم الأول أو العدم السابق] ؛ إلا أنه عندهم أخص من الأزل(١) ؛ لأن الأزل عبارة عن

---

(١) قال ابن فارس : الأزل هو القِدَم ، تقول : هو أزليٌّ ، وأرى أن الكلمة غير مشهورة ، وفيما أحسب أنهم قالوا للقديم : لَمْ يزل ، ثم نُسب على هذا فلم يستقِمْ إلا بالاختصار ، فقالوا : يزَلِيٌّ ثم أبدلت الياءُ ألفاً ؛ لأنها أخفُّ فقالوا : أزليٌّ ، وهو كقولهم في الرمح المنسوب إلى ذي يزن : أزنيٌّ . انظر مجمل اللغة لابن فارس ص٥٢.

وقد قسَّم الجرجاني الموجودات إلى ثلاثة أقسام هي :

١- إما أزليّ وأبدي ، وهو الله سبحانه وتعالى .

٢- أو لا أزلي ولا أبدي ، وهو الدنيا .

ما لا افتتاح له سواءً كان وجودياً أو عدماً ، والقدم عبارة عن ما لا أول له بشرط أن يكون وجودياً كذات الله عز وجل المتصفة بصفات الكمال والجلال.

فإذا عرفتم هذا فاعلموا أن القِدَم والبقاء اللذين يصف المتكلمون بهما الله تعالى زاعمين أنه وصف بهما نفسه في قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾(١) .

قد جاء في القرآن الكريم وصف المخلوق بالقِدَم فقال تعالى : ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ

٣- أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة .

انظر : التعريفات للجرجاني ص١٧ .

(١) الآية رقم ٣ من سورة الحديد .

(٢) الآية رقم ٣٩ من سورة يس .. والعرجون القديم هو الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني ، فإذا وجد الحديث قيل للأول : قديم ، والراجح أن القديم ليس من أسماء الله تعالى ، وأنكره كثير من السلف ، منهم : ابن حزم وغيره ، والتقدم في اللغة مطلقٌ لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها ، فلا يكون من الأسماء الحسنى ، وقد جاء الشرع باسمه (الأول) وهو أحسن من القديم ؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم . انظر : العقيدة الطحاوية بتحقيق أحمد شاكر. ص١١٣ ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٣) الآية رقم ٩٥ من سورة يوسف .

ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾[١] .

وأما الله جل وعلا فلم يصف نفسه في كتابه بالقدم ، وقد كره بعض السلف وصفه جل وعلا بالقدم لتشبيهه بالعرجون القديم ، وقد جاء فيه حديث ، فبعض العلماء يقول هو يدل على وصفه بهذا ، وبعضهم يقول لم يثبت[٢] .

---

(١) الآية رقم ٧٦ من سورة الشعراء .

(٢) والحديث هو ما رواه محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها كلها دخل الجنة ، الله ، الرحمن ، الرحيم ، الإله ...**» إلخ الحديث . وفيه : اسم « القديم » . أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧) ، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٤٢-١٤٣) ، وفي الأسماء والصفات (ص١٠) .

وقد عدَّ البيهقي « القديم » اسماً من أسماء الله الحسنى في كتابيه « الاعتقاد » و « الأسماء والصفات » ، وقال في معنى « القديم » : هو الموجود لم يزل ، وهذه صفة يستحقها بذاته .

قلت : وبعد أن أمعنتُ النظر في إسناد هذا الحديث اتضح لي أن فيه ضعفاً ؛ لأن من رجاله عبدالعزيز بن الحصين بن الترجمان ، وقد وثقه الحاكم ولكن لم يوافقه الذهبي بل قال : ضعيف .

قال عنه يحيى بن معين : ليس بشيء ولا يساوي حديثه فلساً .

وقال مسلم بن الحجاج : ذاهب الحديث .

وقال البخاري : ليس بالقوي .

وقال النسائي : متروك الحديث . =

. . . .

= انظر : الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ٢٠٩) .
وقد نقل الحافظ ابن حجر أقوال العلماء في تضعيف عبدالعزيز الحصين بن الترجمان ، فمنهم شيخ البخاري علي بن المديني وابن عدي وغيرهما كثير ، ثم قال الحافظ : وأعجب من الحاكم كيف وثقه وقد ضعفه أكثر أئمة أهل الحديث . انظر : لسان الميزان ج٥ ترجمة رقم (٤٨٠٦) وقال ابن حبان : يروي المقلوبات عن الأثبات ، والموضوعات عن الثقات ، فلا يجوز الاحتجاج به . انظر : المغني في الضعفاء للذهبي (٢/ ٣٩٦) .
وذكر ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : أن يحيى بن معين قال : عبدالعزيز بن الحصين خرساني ضعيف الحديث .
وقال عبدالرحمن : سألتُ أبي عن عبدالعزيز بن الحصين فقال : ليس بقوي ومنكر الحديث ، وهو في الضعف مثل عبدالرحمن بن زيد بن أسلم . وقال عبدالرحمن : سألت أبا زرعة عنه فقال : لا يكتب حديثه . انظر : الجرح والتعديل (٥/ ٣٨٠) .
وقد ضعَّف هذا الحديث أيضاً الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٩٤٦) ، والمشكاة (٢٢٨٨) .
وبذلك يكون هذا الحديث ضعيفاً ولا يحتج به .
وحديث « إن لله تسعة وتسعين اسماً .. » إلخ هو مخرَّج في الصحيحين ولكن دون ذكر الأسماء .. وقد رواه الترمذي مع سرد الأسماء دون ذكر اسم «القديم» . وقال : هذا حديث غريب .
قال ابن كثير رحمه الله : إن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج من الراوي =

. . . .

= وهـذا الذي عوَّل عليه جماعـة من الحفاظ .. وقال ابن حـزم رحمه الله : الأحاديث التي فيها سرد الأسماء أي أسماء الله الحسنى مضطربة ولا يصح شيء منها أصلاً . انظر : تفسير ابن كثير وتفسير فتح القدير عند قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « إن زيادة سرد الأسماء هي مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه ، وفيها حديث أضعف من هذا رواه ابن ماجه » . مجموع الفتاوى ٢٢/ ٣٨٢ .

وقد ضعف هذا الحديث الألباني رحمه الله في تحقيقــه لسنن ابن ماجـة برقم (٣٨٦١) .

وأما الحديث الذي أخرجه أبوداوود في سننـه برقم (٤٦٢) من روايـة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وفيه أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال : « **أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم** ..» الحديث ، فقد حسَّنه الحافظ ابن حجر رحمه الله في «نتائج الأفكار» والإمام النووي في « الأذكار » ، وحسنه الشيخ ابن باز في مجموع فتاويه ٢٦/ ٣٧ ، وصححه الألباني في تخريجاته على سنن أبي داوود برقم (٤٦٦).

فقوله : « **وسلطانه القديم** » لا يدلُّ على أن (القديم) من أسماء الله تعالى ؛ لأن كلمة القديم في هذا الحديث هي وصفٌ عائدٌ على ما قبله وهو «السلطان» ، وقد بحثتُ في أقوال أهل العلم فلم أجد أحداً منهم قال بأن هذا الحديث يدل على وصف الله عز وجل بالقِدَم ، وأن (القديم) من أسماء الله عز وجل ، سوى الإمام البيهقي كما تقدم ، والسفاريني الحنبلي صاحب =

. . . .

= «لوامع الأنوار البهيَّة» ، فقد عدَّاه من أسماء الله الحسنى ، وقد قال الشيخ عبدالله أبابطين مفتي الديار النجدية في عصره المتوفى سنة ١٢٨٢هـ : « إن جعل « القديم » من أسماء الله الحسنى فيه نظر من وجهين :

الأول : أنَّ أسماء الله تعالى عند أهل السنة توقيفية ، والتوقيفي هو الذي لا يثبت إلا بنصٍ من كتابٍ أو سنة أو كلام السلف من الصحابة والتابعين ، وليس في ذلك ما يدل على أنه من أسماء الله الحسنى .

والثاني : أن أسماء الله كلها حسنى بالغة في الحسن منتهاها ، بخلاف «القديم» ؛ لأن القِدَم معنى اعتباري لا يدل على الأولية ؛ فلا يصح إطلاق القديم على الله باعتبار أنه من أسماء الله ...» إلخ. اهـ . انظر : لوامع الأنوار البهية وحاشية الشيخ عبدالله أبابطين عليها (١/ ٣٨) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : لفظ « القديم » في لغة الرسول ﷺ التي جاء بها القرآن خلاف الحديث وهو عند أهل الكلام عبارة عـما لم يزل أو عمَّا لم يسبقه وجود غيره إن لم يكن مسبوقاً بعدم نفسه ، ويجعلونه إذا أُريد به هذا من باب المجاز ، ولفظ « المحدَث » في لغة القرآن يقابل لفظ « القديم » في القرآن . انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٥) .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً جميلاً في بيان ذلك فقال : إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، فكل ما يُطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يُطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه ، فإنه يخبر عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا . انظر : بدائع الفوائد : (فصل ما يجري صفة أو خبراً عن الرب) (١/ ١٤٦-١٤٧) . =

أما الأوليَّة والآخرية اللتان نصَّ الله عليهما في قوله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[١] ؛ فقد وصف المخلوقين أيضاً بالأولية والآخرية فقال : ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾[٢] ، ولا شك أن لله أولية وآخرية[٣] لائقتين بكماله وجلاله ، وللمخلوقين أولية وآخرية مناسبتين لحالهم وفناهم وعجزهم وافتقارهم .

= والتحقيق أن هذا مشهورٌ عند أهل الكلام بجواز إطلاق وصف القِدَم على الله عز وجل ليس من باب الأخبار وإنما من باب الأسماء والصفات ، وقد خالفهم في ذلك كثيرٌ من السلف والخلف ، فمن السلف كما أسلفنا ابن حزم وابن القيم وغيرهما رحمهما الله ، ومن الخلف والمعاصرين الإمامان الشيخان الفاضلان ابن باز والألباني رحمهما الله في تعليقاتهما على متن العقيدة الطحاوية .

(١) الآية رقم ٣ من سورة الحديد .

(٢) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة المرسلات .

(٣) الأولية والآخرية بالنسبة على الله قد فسَّرها الرسول ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٠٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء** » .

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله : « في هذه الأسماء المباركة إحاطته سبحانه من كل وجه ، ففي اسمه الأول والآخر إحاطته الزمانية ، وفي اسمه الظاهر والباطن إحاطته المكانية » . شرح العقيدة الواسطية (ص٢٩) .

وقد وصف نفسه جل وعلا بأنه واحد فقال : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[(١)] ، ووصف بعض المخلوقين بذلك فقال : ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾[(٢)] ، ووصف نفسه بالغنى فقال : ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[(٣)] ، وقال أيضاً : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[(٤)] ، ووصف بعض المخلوقين بالغنى فقال : ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾[(٥)] ، وقال : ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[(٦)] .

فهذه صفات السلب في القرآن الكريم قد بيَّنا وصف الخالق والمخلوق بها ، وذكرنا أن صفة الخالق لائقة بكماله وجلاله ، وصفة المخلوق مناسبة لحاله وعجزه وافتقاره .

وأما صفات المعاني التي سبق ذكرها ؛ فمن عدَّها من المتكلمين عدَّها بناءً على ثبوت ما يسمونه « الحال المعنوية » التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة .

---

(١) الآية رقم ١٦٣ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٤ من سورة الرعد .

(٣) الآية رقم ١٥ من سورة فاطر .

(٤) الآية رقم ٨ من سورة إبراهيم .

(٥) الآية رقم ٦ من سورة النساء .

(٦) الآية رقم ٣٢ من سورة النور .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [1] دليلٌ على أن المعدوم ليس بشيء ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾[2] ، وهذا هو الصواب خلافاً للمعتزلة القائلين : إن المعدوم الممكن وجوده شيء ، مستدلين لذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3] ، قالوا : سمَّاه الله شيئاً قبل أن يقول له : كن فيكون ، وهو يدل على أنه شيء قبل وجوده.

والتحقيق : أن هذه خُرافةٌ وخيال ، والصواب : ما دلت عليه هذه الآية وأمثالها في القرآن من أن المعدوم ليس بشيء ، وأن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه وساطة ألبتة ، فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعاً ، وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعاً ، ولا واسطة ألبتة كما هو معروف عند العقلاء[4] ، وقد مثلنا لكونه جل وعلا قادراً وحيًّاً ومريداً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً وعالماً كما

---

(١) الآية رقم ٩ من سورة مريم .

(٢) الآية ٣٩ من سورة النور .

(٣) الآية ٨٢ من سورة يس .

(٤) كما قرَّر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قاعدة : « النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان » . انظر : الرسالة التدمرية ص٣٦ بتحقيق السعوي.

جاء في القرآن الكريم من وصف الخالق والمخلوق بها ، وبيَّنا أن صفة الخالق لائقةٌ بكماله وجلاله وصفة المخلوق مناسبةٌ لحاله وفناه وعجزه وافتقاره ، إذاً فلا داعي أن ننفي وصف رب السموات والأرض عنه خشية المشابهة لصفات المخلوقين! بل يلزم أن نُقر بوصف الله ونؤمن به في حال كوننا مُنزِّهين له عن مشابهة صفة المخلوق .

[ظاهر السِّر في التعبير بالأفعال الماضية في القرآن الكريم عن الحوادث المستقبلة التي لم تقع] :

والجواب عن استدلالهم بالآية السابقة : أن ذلك المعدوم لما تعلقت الإرادة بإيجاده صار تحقُّق وقوعه كوقوع الفعل ، كقوله : ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾[2] ، وقوله : ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[4] ، وقوله : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ ﴾[5]

---

(١) الآية ١ من سورة النحل .

(٢) الآية ٦٨ من سورة الزمر .

(٣) الآية ٦٩ من سورة الزمر .

(٤) الآية ٧١ من سورة الزمر .

(٥) الآية ٧٣ من سورة الزمر .

وأمثال ذلك كثير ، كل هذه الأفعال الماضية الدالة على الوقوع بالفعل فيما مضى أُطلقت مراداً بها المستقبل ؛ لأن تحقق وقوع ما ذكر صيَّره كالواقع بالفعل ، وكذلك تسميته شيئاً قبل وجوده لتحقق وجوده بإرادة الله تعالى.

[الرد على المعتزلة في رؤية المؤمنين لربِّهم عز وجل في الآخرة]

قال تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1] ، وقد استدل المعتزلة بهذه الآية الكريمة على أن الله لا يُرى بالأبصار ، واستدلالهم بهذه الآية باطل .

واعلموا أولاً : أن التحقيق في رؤية الله بعين الرأس أنه يُنظَرُ إليها بنظرين :

أحدهما : النظر إليها بالحكم العقلي .

والثاني : النظر إليها بالحكم الشرعي .

وأما رؤية الله بالنظر إلى حكم العقل : فهي جائزة في الدنيا ، وجائزة في الآخرة .

فالدليل على جوازها عقلاً في الدنيا : أن نبي الله موسى ـ عليه

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

السلام ـ وهو هو[1] قال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[2] ، فلو كانت رؤية الله مستحيلة عقلاً في الدنيا لَمَا خفيَ على نبيِّه موسى ـ عليه السلام ـ ؛ لأنه لا يجهل المستحيل في حق الله تعالى .

وأما بالنظر إلى الحكم الشرعي : فهي جائزة وواقعة في الآخرة قطعاً ، وممتنعة في الدنيا ، وهذا هو التحقيق ، فعُلم من هذا التحقيق ؛ أن رؤية الله بالأبصار وعيون الرؤوس جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة ، وواقعة شرعاً في الآخرة ، ممتنعة شرعاً في الدنيا ، فالله جل وعلا في دار الدنيا لا يُرى بالأبصار فعلاً ، وإن ذلك يجوز عقلاً ، ولكنه في الآخرة يراه المؤمنون (جل وعلا) هذا هو التحقيق .

ومذهب أهل السنة والجماعة الذي دلت عليه آيات القرآن والأحاديث الصحيحة المتواترة ، أن رؤية الله واقعة شرعاً ، يراه المؤمنون يوم القيامة بأبصارهم ، كما جاء عن حوالي عشرين

---

(١) هذا ليس بتكرار للكلام وإنما هو من باب الثناء والمدح على الشخص وبيان منزلته ومقامه ، فيكون معنى الكلام : أن نبي الله موسى عليه السلام وهو مَنْ هو في مقامه ومنزلته عند الله تعالى طلب من ربِّه أن يُرِيَهُ وجهه سبحانه وتعالى.

(٢) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

صحابياً في أحاديث متواترة : أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة[1]، وقد نصَّ الله على ذلك في كتابه ، كقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾[2] ، وكقوله تعالى في الكفار : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[3] ، يُفهم من مفهوم مخالفته .. وقد فسَّر النبي ﷺ قوله : ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[4] قال : «**الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم**»[5] .

وهذا هو التحقيق في رؤية الله ، أنها جائزة في حكم العقل في

---

(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٤) ، والإمام مسلم (٦٣٣) عن جرير بن عبدالله البجلي أنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة ـ يعني البدر ـ فقال : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تُضامون في رؤيته ...** » الحديث .. ورواه أيضاً من الصحابة أبوهريرة عند البخاري (٦٥٧٣) ، ومسلم (١٨٢) ، وكذلك أبوسعيد الخدري عند الإمام أحمد (١١١٢٠) ، والترمذي (٢٥٥٤) ، وابن ماجه (١٧٩) .

(٢) الآيات ٢٢-٢٣ من سورة القيامة .

(٣) الآية ١٥ من سورة المطففين .

(٤) الآية ٢٦ من سورة يونس .

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه .

الدنيا والآخرة ، ممتنعة في حكم الشرع في دار الدنيا ، واقعة في الآخرة .

ولطالب العلم هنا جواب ، وهو أن يقول : بأن الناس في دار الدنيا رُكّبوا تركيباً ضعيفاً مُعرَّضاً للتغيُّر ، والفناء ، والزوال ، وهذا التركيب الضعيف المعرَّض للفناء والتغير والزوال ، لا يقدر ولا يستطيع ولا يقوى على رؤية خالق السموات والأرض ، والدليل على ذلك أنه سبحانه لما تجلَّى للجبل صار الجبلُ دكّاً لعظم رؤية الله جل وعلا كما قال في الأعراف : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾[1] . فما يَدُكُّ الجبال لا يقدر عليه بنو آدم ، ولا يقْوون عليه ، وأما في الآخرة فإن الله يُركّبهم تركيباً جديداً قوياً ليس قابلاً للتغيُّر ولا للفناء ، فيقوون بتلك القوة على رؤية الله جل وعلا .

فتبيَّن بهذا أنها جائزة عقلاً في الدنيا ؛ إلا أن البشر يعجزون ولا يقوون عليها ، وأنها واقعة شرعاً في الآخرة ؛ لأنهم في ذلك الوقت

---

(١) الآية ١٤٣ ، سورة الأعراف .

يطيقونها لتركيبهم الجديد الدائم .

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد قلنا مراراً : إن الواجب على كل المسلمين في آيات الصفات : أن يعتقدوا ثلاثة أسس كلها في ضوء القرآن العظيم(١) ، فمن اعتقد الأسس الثلاثة كلها لقي ربَّه سالماً على محجة بيضاء ، ومَنْ أخلَّ بواحد منها وقع في مهواة ، قد لا يتخلص منها .

فهذه الأسس الثلاثة في ضوء القرآن العظيم طريق سلامة محققة ، ولذا ما ثبت من رؤية الله بالأبصار نُمِرُّه كما جاء ، ونعتقد أنه حقٌّ على الوجه اللائق بكماله وجلاله ، المُنزَّه عن مشابهة صفات المخلوقين من جميع النواحي .

إذا عرفتم هذه : فاعلموا أن العلماء أجابوا عن استدلال المعتزلة بهذه الآية الكريمة على مذهبهم الباطل بأجوبة متعددة :

الوجه الأول : أن معنى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾(٢) كما جاء عن ابن عباس وجماعة من السلف [رضي الله عنهم] : أن الإدراك المنفي هنا هو الإحاطة ، والمعنى : لا تحيط به الأبصار ، والإدراك قد يطلق

---

(١) انظر ص ٢٤ في هذا الكتاب .

(٢) الآية ١٠٣ ، سورة الأنعام .

على الإحاطة كثيراً ، كقوله : ﴿أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾[1] أي : أحاط به من جميع جهاته ، وكقوله : ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[2] أي : مُحاط بنا .

وعلى هذا فمعنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أي : لا تُحيط به الأبصار ، وإن كانت تراه في الجملة ؛ فالإدراك المنفي هو الإحاطة ، والإحاطة لا يستلزم نفيها نفيَ مطلقِ الرؤية الثابتة في الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة .

الوجه الثاني : أن معنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي : لا تدركه في دار الدنيا ، بدليل قوله : في الآخرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ فلما قيد نظرها إلى ربها بقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي : يوم القيامة ، عرفنا أن ذلك النظر مُقَيَّدٌ بالقيامة ، وأن قوله : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي : في دار الدنيا .

وقال بعض العلماء : لو سلَّمنا ما يقوله المعتزلة من أن الإدراك : الرؤية ، وأن الآية عامة في قوله : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فعمومها

---

(١) الآية ٩٠ ، من سورة يونس .

(٢) الآية ٦١ ، من سورة الشعراء .

تُخصِّصهُ آيات أُخر بيوم القيامة كقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، وقوله : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي : بخلاف المؤمنين فليسوا بمحجوبين عن ربهم .

وقد تقرر في الأصول أن المفهوم يُخصِّص العام ، سواءً كان مفهوم موافقة ، أو مفهوم مخالفة ؛ فمثال تخصيص العام لمفهوم الموافقة قوله عليه الصلاة والسلام : « **ليُّ الواجد ظلم يُحِل عِرضه وعقوبته** »[1] ، ومعنى قوله : « **ليُّ الواجد** » يعني ظلم الغني ، ويُحِل عقوبته يعني بالحبس .

وعرضه بأن يقول : ظلمني ، ومطلني ، ظاهر هذا العموم يشمل الوالد إذا مطل دیْن ولده ؛ لأن لفظة « **الواجد** » يصدق بكل غريم موسر فيدخل فيه الأب ؛ إلا أن مفهوم الموافقة في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[2] يفهم منه أن حبسه في دينه من باب أولى لا يجوز ،

---

(١) إسناده حسن : أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٧٩٤٦) ، وأبوداوود (٣٦٢٨) ، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٤٤٤) ، وابن ماجه (٢٤٢٧) ، وابن حبان (٥٠٨٩) وعلقه البخاري في صحيحه ٥/ ٦٢ ، وحسنه الحافظ في الفتح كتاب رقم ١٤٣ رقم الباب ١٣ ، وكذلك الألباني في الإرواء (١٤٣٤) .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الإسراء .

فخُصِّص الحديث بمفهوم الموافقة في الآية .

ومثاله في مفهوم المخالفة قوله ﷺ : «في أربعين شاةً شاةٌ»[١] .

ظاهر مفهومه : سواء كانت سائمة ، أو معلوفة ، فلما قال في الحديث الآخر : « في الغنم السائمة زكاة »[٢] ؛ أي فمفهومه : أن غير السائمة لا زكاة فيها ، فيُخصَّص بهذا المفهوم عموم : « في كل أربعين شاةً شاةٌ » ولذا يُخصَّص عموم ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ بمفهوم ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ بخلاف المؤمنين فليسوا بمحجوبين عن ربهم .

فمعنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ ؛ أي : لا تحيط به الأبصار ، أو لا تدركه الأبصار في الدنيا ، ولكنها تراه في الآخرة .

واختار غير واحد : أن الإدراك المنفي هنا معناه الإحاطة ، أي : لا تحيط به الأبصار ، ولا ينافي أن تراه ، ولكن لا تحيط به ؛ لأنه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١٣٠٧) وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه أبوداوود في سننه (١٥٦٨) ، وابن ماجه في سننه (١٨٠٥) ، وصححه الألباني في صحيحَي سنن أبي داوود وابن ماجه ، وفي الإرواء (٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٤٥٤) ، والإمام أحمد في مسنده (٧٢) ، وأبوداوود في سننه (١٥٦٧) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود .

لا يُحيط به شيءٌ ، وهو محيط بكل شيء ، وفي الحديث : « لا **أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك** »[١] .

فكما أن المؤمنين يعلمون صفات ربهم ـ صفات الكمال والجلال ـ ولا يحيطون بكيفية كُنْهها ، فكذلك يرونه يوم القيامة بعيـونهم ولا تحيط به أبصارهم .

والحاصل هو ما قدمناه : أن التحقيق في رؤية الله بعيون الرؤوس بالأبصار جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة ، ممتنعة شرعاً في الدنيا ، جائزة وواقعة عقلاً في الآخرة بالآيات القرآنية والأحاديث المتواترة كما بيَّنا .

وقوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ؛ الأبصار : جمع بصر ، ولعلماء اللغة حدود متقاربة في معنى البصر، قال بعضهم : البصر : العين ، إلا أنه مُذكَّر .

وقال بعضهم : البصر : حاسة الرؤية ، وقال بعضهم : البصر : حِسُّ العين ، أي : إحساسها الذي تدرك به المرئيات ، وقال بعضهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٧٥١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٣٠٦ ، وأبوداوود في سننه (١٤٢٧) ، والنسائي (١٧٤٧) ، وصححه الألباني في تحقيقاته لسنن أبي داوود والنسائي .

البصر : هو الجوهر اللطيف الذي ركَّبه الله في حاسة الرؤية تُرى المبصرات ، معناه أن هذا البصر الذي في العين ـ المعنى القائم فيها ، الذي تُدرك به المبصرات ـ لا يحيط بخالق السموات والأرض وإن كانوا يرونه ، لما جاء في الآيات القرآنية .

وهو جل وعلا يدرك الأبصار أي : يحيط بها علماً وبصراً ، وهذه الآية تدل على أن الخلق لا يحيطون بكيفية البصر ، ولا يعلمون كيفية النور ، وحقيقة هذا النور الذي جعله الله في العين تبصر به المرئيات لا يبصر الإنسان بيده ، ولا بأنفه ، ولا بجبهته ، ولا برجله ، وإنما يبصر بخصوص عينه ؛ فهذا المعنى الذي أودعه الله في العين لا تحيط الناس بكُنْه كيفيته ، ولا حقيقته ، والله جلا وعلا يدركه ، أي : يحيط به ، ويراه ، ويعلم حقيقته ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[1] .

[الصفات الفعلية]

وأما الصفات الفعلية[2] فقد جاء وصف الخالق والمخلوق بها

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي ٢/ ٤٩٦ .

(٢) قال الجرجاني رحمه الله في التعريفات ص٩٥ : «الصفات الفعلية : هي ما يجوز أن يوصف الله بضده ، كالرضا والرحمة والسخط والغضب ، ونحوها».. =

كثيراً في القرآن ، ومعلوم أن فعل الخالق منافٍ لفعل المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق ، ومن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق الخلق فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(١) وقوله : ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٢) ، ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق فقال سبحانه : ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

= وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : «الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئته ، إن شاء فعلها ، وإن لم يشأ لم يفعلها ، مثل النزول إلى السماء الدنيا ، والاستواء على العرش ، والكلام من حيث آحاده ، والخلق من حيث آحاده لا من حيث الأصل ، فأصل الكلام صفة ذاتية وكذلك الخلق » . انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٨٨) .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله : « الصفات الفعلية هي كل صفة تعلقت بمشيئته وقدرته : كالكلام ، والخلق ، والرزق ، والرحمة ، والاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا كما يشاء، وأن جميعها ثابتة لله من غير تمثيل، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، وأنها كلها قائمة بذاته ، وهو موصوف بها ، وأنه تعالى لم يزل ولا يزال يفعل ويتكلم ، وأنه فعّال لما يريد ، يتكلم بما شاء إذا شاء ، كيف يشاء ، ولم يزل بالكلام معروفاً ، وبالرحمة موصوفاً ... إلخ . انظر : الفتاوى السعدية ص١٣ . ط. مكتبة الإيمان .

(١) الآية رقم ٥٨ من سورة الذاريات .

(٢) الآية رقم ١١ من سورة الجمعة .

وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[١] ، وقال : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ ﴾[٢] .

ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من هذا الفعل مخالفٌ لما وصف به منه المخلوق كمخالفة ذات الله لذات المخلوق ، وقد وصف الله نفسه بالفعل الذي هو العمل فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾[٣] ، ووصف بعض المخلوقين بصفة الفعل الذي هو العمل فقال : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

ووصف نفسه بأنه يُعلِّم خلقه فقال : ﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[٥] ، وقال : ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٦] ، ووصف بعض خلقه بصفة الفعل الذي هو التعليم فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٧] ، وجمع المثالين في قوله : ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾[٨] ..

---

(١) الآية رقم ٨ من سورة النساء .

(٢) الآية رقم ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٣) الآية رقم ٧١ من سورة يس .

(٤) الآية رقم ٧ من سورة التحريم .

(٥) الآيات ١-٤ من سورة الرحمن .

(٦) الآية رقم ٥ من سورة العلق .

(٧) الآية رقم ٢ من سورة الجمعة .

(٨) الآية رقم ٤ من سورة المائدة .

وقد وصف نفسه جل وعلا بأنه يُنبِّئ ووصف المخلوق بأنه أيضاً يُنبِّئ وجمع بين صفة الفعل على المثالين في قوله : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١] .

ووصف نفسه بالفعل الذي هو الإيتاء فقال : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ .. ﴾[٢] ، وقال : ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ﴾[٣] ، ووصف المخلوق بالفعل الذي هو الإيتاء فقال جل وعلا : ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾[٤] ، وقال : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ ﴾[٥] ، وأمثال هذا كثيرةٌ في القرآن الكريم .

ولا شك أن ما وصف الله به منه هذه الأفعال مخالفٌ لما وصف به المخلوق منها كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق.

[من صفاته عز وجل المعية]

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[٦] ،

---

(١) الآية رقم ٣ من سورة التحريم .
(٢) الآية رقم ٢٦٩ من سورة البقرة .
(٣) الآية رقم ٣ من سورة هود .
(٤) الآية رقم ٢٠ من سورة النساء .
(٥) الآية رقم ٢ من سورة النساء .
(٦) الآية رقم ١٢٨ من سورة النحل .

وهذه المعية خاصة بعباده المؤمنين ، وهي الإعانة والنصر والتوفيق ، وكرَّر هذا المعنى في مواضع أخر ، كقوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾[٤] . وأما المعية العامة لجميع الخلق ، فهي بالإحاطة التامة والعلم ونفوذ القدرة وكون الجميع في قبضته جل وعلا ، فالكائنات في يده جلَّ وعلا أصغر من حبة خردل[٥] ، وهذه هي المذكورة أيضاً في آيات كثيرة ، كقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ

---

(١) الآية رقم ٤٦ من سورة طه .

(٢) الآية رقم ١٢ من سورة الأنفال .

(٣) الآية رقم ٤٠ من سورة التوبة .

(٤) الآية رقم ٦٢ من سورة الشعراء .

(٥) أخرج ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ...﴾ الآية ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلةٍ في يد أحدكم» الحديث ، وقد أخرجه أيضاً أبوالشيخ في «العظمة » برقم ١٣٥-١٩ ، والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة ١/٩٥ ، والسيوطي في « الدر المنثور » عند الآية السابقة .

﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[١] ، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٢] ، وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾[٣] ، وقوله : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[٤] ، إلى غير ذلك من الآيات .

فهو جلَّ وعلا مستوٍ على عرشه كما قال ، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله ، وهو محيط بخلقه وكلهم في قبضة يده ، لا يعزُب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين[٥] .

[الصفات الجامعة[٦]]

وأما الآن فنتكلم على الصفات الجامعة كالعلو والعِظَم والكبر

---

(١) الآية رقم ٧ من سورة المجادلة .

(٢) الآية رقم ٤ من سورة الحديد .

(٣) الآية رقم ٧ من سورة الأعراف .

(٤) الآية رقم ٦١ من سورة يونس .

(٥) انظر تفسير الآية ١٢٨ من سورة النحل في تفسير أضواء البيان.

(٦) قال الجرجاني رحمه الله : الصفات الجلالية : هي ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدها وهي ملازمة لذات الرب سبحانه وتعالى نحو : القهر والعزة والعظمة والسعة ... إلخ. ا.هـ بتصرف ، انظر التعريفات ، ص٩٥.

والملك والعزة والقوة والجبروت ونحو ذلك من الصفات الجامعة ؛ فقد جاء في القرآن الكريم وصف الخالق والمخلوق بها بكثرة ، فقال جل وعلا في وصف نفسه بالعلو والكبر والعِظم : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[(١)] ، وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾[(٢)] ، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾[(٣)] .

ووصف بعض الخلق بالعِظم ؛ فقال : ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[(٤)] ، وقال : ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا﴾[(٥)] ، وقال : ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾[(٦)] .

ووصف بعض المخلوقين بالعلو ؛ فقال : ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[(٧)] ، وقال : ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾[(٨)] .

---

(١) الآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٣٤ من سورة النساء .

(٣) الآية رقم ٩ من سورة الرعد .

(٤) الآية رقم ٦٣ من سورة الشعراء .

(٥) الآية رقم ٤٠ من سورة الإسراء.

(٦) الآية رقم ٢٣ من سورة النمل .

(٧) الآية رقم ٥٧ من سورة مريم .

(٨) الآية رقم ٥٠ من سورة مريم .

وقال في وصف المخلوق بالكبر : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[١] .

وقد وصف نفسه جل وعلا بالملك ؛ فقال : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ﴾[٢] ، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[٣] ، ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٤] .

وقال في وصف المخلوق بالملك : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾[٥] ، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ﴾[٦] ، ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[٧] .

ووصف نفسه بأنه جبَّار فقال : ﴿ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾[٨] ووصف بعض المخلوقين بأنه جبارٌ متكبر فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٩] .

---

(١) الآية رقم ١٢ من سورة الملك .

(٢) الآية رقم ١ من سورة الجمعة .

(٣) الآية رقم ٢٣ من سورة الحشر .

(٤) الآية رقم ٥٥ من سورة القمر .

(٥) الآية رقم ٤٣ من سورة يوسف .

(٦) الآية رقم ٥٠ من سورة يوسف .

(٧) الآية رقم ٧٩ من سورة الكهف .

(٨) الآية رقم ٢٣ من سورة الحشر .

(٩) الآية رقم ٣٥ من سورة غافر .

ووصف نفسه جل وعلا بالعزة فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١] ، ووصف بعض المخلوقين بالعزة فقال : ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾[٢] ، وجمع بين المثالين في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

ووصف نفسه بالقوة ؛ فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٤] .

ووصف المخلوق بالقوة ؛ فقال : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[٥] ، وجمع بين المثالين ؛ فقال : ﴿ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ ﴾[٦] .

وأمثال هذا من الصفات الجامعة كثيرةٌ في القرآن ، ومعلوم أنه جل وعلا متصفٌ بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله ، ووصف المخلوق به منها مخالف لما وصف به الخالق ، كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق .

---

(١) الآية رقم ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٥١ من سورة يوسف .

(٣) الآية رقم ٨ من سورة المنافقون .

(٤) الآية رقم ٤٠ من سورة الحج .

(٥) الآية رقم ٢٦ من سورة القصص .

(٦) الآية رقم ١٥ من سورة فصلت .

[الصفات التي اختلف فيها المتكلمون بين أن تكون صفة فعلٍ أو صفة معنى]

ثم نتكلم على الصفات التي اختلف فيها المتكلمون هل هي صفات فعلٍ أم صفات معنى ؟ .

والتحقيق : أنها صفات معانٍ قائمةٌ بذات الله جل وعلا ، كالرأفة والرحمة والحلم ... إلخ[١] ؛ فنجده جل وعلا وصف نفسه بأنه رؤوفٌ رحيم ؛ فقال : ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] ؛ ووصف أفضل الخلق ﷺ بهاتين الصفتين ؛ فقال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] .

ووصف نفسه بالحلم ؛ فقال : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[٤] .

ووصف بعض المخلوقين بالحلم ؛ فقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[٥].

---

(١) قال الجرجاني : تسمى هذه الصفات بالصفات الجمالية لله عز وجل نحو : اللطف والرحمة ... وغيرها . انظر التعريفات ، ص٩٥ .

(٢) الآية رقم ٧ من سورة النحل .

(٣) الآية رقم ١٢٨ من سورة التوبة .

(٤) الآية رقم ٥٩ من سورة الحج .

(٥) الآية رقم ١٠١ من سورة الصافات .

ووصف نفسه بالمغفرة ؛ فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

ووصف بعض المخلوقين بالمغفرة ؛ فقال : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٢] .

ووصف نفسه جل وعلا بالرضى ووصف المخلوق بالرضى فجمع المثالين في قوله : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٣].

ووصف نفسه بالمحبة ووصف المخلوق بالمحبة فجمع بين المثالين في قوله : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٤] .

ووصف نفسه بأنه يغضب ؛ فقال : ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[٥] .

ووصف بعض الخلق بأنه يغضب ؛ فقال : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾[٦] .

---

(١) الآية رقم ١٨٢ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٤٣ من سورة الشورى .

(٣) الآية رقم ١١٩ من سورة المائدة .

(٤) الآية رقم ٥٤ من سورة المائدة .

(٥) الآية رقم ٦٠ من سورة المائدة .

(٦) الآية رقم ١٥٠ من سورة الأعراف .

ولا ريب أن ما وُصف به خالق السموات والأرض من هذه الصفات حقٌّ ولائقٌ بكماله وجلاله ، فلا يجوز أن يُنفى خوفاً من التشبيه بالخلق ، وما وصف به الخلق من هذه الصفات حقٌّ مناسبٌ لحالهم وفناهم وعجزهم وافتقارهم ، وعلى كل حال لا يجوز لأي إنسانٍ أن يتنطع إلى وصفٍ أثبته جل وعلا لنفسه ؛ فينفي هذا الوصف عن الله متهجِّماً على رب السموات والأرض ، مُدَّعياً أن هذا الوصف الذي تمدَّح به أنه لا يليق به ، ويَعْمَدُ إلى أن ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص ، فهذا يُعتبر جنوناً وهوساً ![1] .

ولا يذهب إليه إلا من طمس اللهُ بصائرَهم عن الحق ، فإذا حقَّقت ذلك علمتَ أنه جل وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش ، ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات .

وبهذا التقرير الذي قررنا تعلمون أن مقولة : « مذهب السلف أسلم » أنه مع ذلك أحكم وأعلم ؛ لأنه طريق سلامة محققة ، ليس فيه شائبة تشبيه ، وليس فيه شائبة تعطيل ، ولا جحود بآيات الله ، كله طرق سلامة محققة في ضوء القرآن ، حيث حاد عنه الإنسان

---

(١) قال أبوالشيخ الأصبهاني رحمه الله في كتاب العظمة (١/ ٨٥) : « من سَّمى الله بغير ما سَّمى به نفسه ، أو سمَّاه رسوله ، أو زاد في صفة لم يُسمِّ بها نفسه أو رسوله فهو مبتدع ضال » .

دخل في بلايا ، ونحن نقول لكم هذا ونقرر لكم مذهب السلف على ضوء القرآن العظيم ، مع أنَّا لم نقم بدراسة ذلك دراسة شديدة مثل علوم الكلام والمنطق ، وما تنفي به كل طائفة بعضاً من صفات الله ، ونحن مُطَّلعون على جميع الأدلة وعلى تركيبها التي نُفيَ بها بعض الصفات ، عارفون كيف جاء البطلان ، واسم الدليل الذي تُردُّ به ، ولكن ذلك لا يليق في هذا المجلس الحافل ؛ لأنه لا يعرفه إلا خواص الناس[1] ، فبعد النظر العام الطويل في علم الكلام وما يستدل به طوائف المتكلمين وما ترد به كل طائفة على الأخرى ، والأقيسة المنطقية التي رتبوها ونفوا بها بعض الصفات ، ومعرفتنا من الوحي ومن نفس الكلام والبحوث والمناظرات كيف يُبطل ذلك الدليل ، ومن أين جاء الخطأ ، وتحققنا من هذا كله ، بعد ذلك كله تحققنا كل التحقيق أن السلامة كل السلامة ، والخير كل الخير في اتباع نور هذا القرآن العظيم ، والاهتداء بهدي هذا النبي الكريم ﷺ ، فما أثبته الله لنفسه نثبته مع غايات التنزيه ، وما نفاه عن نفسه ننفيه مع غايات التنزيه ، وما أثبته سيد الخلق ﷺ لربه نثبته مع كمال التنزيه ،

---

(١) كما جاء في الحديث الموقوف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه ؟ » أخرجه علاء الدين الهندي في كنز العمال برقم (٢٩٣١٨) ، (٢٩٥١٥) .

وما نفاه ننفيه مع غايات التنزيه ، وما سكت عنه الوحي ولم يتعرض له بالكلية ، فإن الله لم يكلفنا في صفاته إلا بما علمنا عن طريق كتابه أو سنة رسوله ﷺ .

[صفة الاستواء]

وقد كثر الخوض في هذه الصفة أي صفة الاستواء ونفاها كثيرٌ من الناس[1] بأقيسةٍ منطقية وأدلة جدلية يُركِّبون فيها قياساً استثنائياً مركَّباً من شرطيةٍ متصلة لزومية .. فيقولون : لو كان مستوياً على عرشه والعرش مخلوق ؛ لكان مشابهاً للخلق في استوائه على العرش ! .. فنقول :

أولاً : اعلموا أن صفة الاستواء هذه هي صفة كمال وجلال تمدَّح بها ربُّ السموات والأرض ، والقرينة على ذلك أن الله عز وجل ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله جل وعلا ، وقد ذكرها في سبع آيات من كتابه .

فأول سورة ذكر الله فيها صفة الاستواء هي سورة الأعراف ؛ فقال سبحانه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ

---

(١) هؤلاء هم أهل الكلام ، الّذين تأثروا بفلسفة اليونان .

أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] الآية .

الموضع الثاني : في سورة يونس ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ الآية[2] .

الموضع الثالث : في سورة الرعد ؛ فقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[3].

---

(١) الآية رقم ٥٤ من سورة الأعراف .

(٢) الآيتان ٣-٤ من سورة يونس .

(٣) الآيات ٢-٤ من سورة الرعد .

والموضع الرابع : في سورة طه قوله تعالى : ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾(1) .

والموضع الخامس : في سورة الفرقان وهو قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾(2) .

والموضع السادس : في سورة السجدة قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(3) .

والموضع السابع : في سورة الحديد قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ

---

(١) الآيات ٢-٦ من سورة طه .

(٢) الآيتان ٥٨-٥٩ من سورة الفرقان .

(٣) الآية رقم ٤ من سورة السجدة .

مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾(١) .

وقال جل وعلا في وصف المخلوق بالاستواء : ﴿ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾(٤) .

وقد علمت مما تقدم أنه لا إشكال في ذلك ، وأن للخالق جل وعلا استواءً لائقاً لكماله وجلاله ، وللمخلوق أيضاً استواءً مناسباً لحاله ، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة كما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ .

فكيف يأتي قوم ينفون هذه الصفات ويؤولونها ، مع أن الله جل وعلا تمدَّح بها ، وجعلها من صفات الجلال والكمال مقرونةً بما يبهر العقول ، فهذا إن دلَّ إنما يدل على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل(٥) .

---

(١) الآية رقم ٤ من سورة الحديد .

(٢) الآية رقم ١٣ من سورة الزخرف .

(٣) الآية رقم ٢٨ من سورة المؤمنون .

(٤) الآية رقم ٤٤ من سورة هود .

(٥) قال ابن القيم رحمه الله : « الاستواء في لغة العرب نوعان : مطلق ومقيد . =

. . . .

* * *

= فالمطلق : ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص : ١٤] وهذا معناه : أي كمل وتم .

والمقيد : فثلاثة أضرب :

١- المقيد بـ « إلى » كقوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة :٢٩] ، واستوى فلان إلى السطح ، وإلى الغرفة ، وهذا بمعنى : العلو والارتفاع بإجماع السلف .

٢- مُقيد بـ«على» كقوله : ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف :١٣] ، وقوله : ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود :٤٤] ، وهذا معناه أيضاً : العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل السنة .

٣- المقرون بواو مع ، التي تعدي الفعل إلى مفعول معه ، نحو : استوى الماء والخشبة. بمعنى : ساواه . انظر : مختصر الصواعق (٢/ ١٢٦) .

[إبطال دعوى أن الأخذ بظاهر آيات الصفات وأحاديثها يستلزم التشبيه] :

وقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح ، وإلى هذا ذهب كل من تكلم في الأصول[١] .

فتنفير الناس وإبعادهم عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بدعوى أن الأخذ بظواهرهما من أصول الكفر هومن أشنع الباطل وأعظمه كما ترى .

ولأجل هذه البلية العظمى والطامة الكبرى ؛ زعم كثير من النُّظَّار[٢] الذين عندهم فهمٌ أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها غير لائقة بالله ؛ لأن ظواهره المتبادرة منها هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه ، وهذه الدعوى الباطلة من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ .

---

(١) انظر : « الرسالة » للإمام الشافعي رحمه الله ، ص٥٨٠ ، و « إعلام الموقعين » لابن القيم رحمه الله ٣/١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) هم أهل الكلام ، وقد نظروا إلى نصوص الكتاب والسنة بعقولهم فقط دون قلوبهم ، فجعلوا العقل حاكماً على الكتاب والسنة وخاصة فيما يتعلق بآيات الصفات .

والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها لكل مسلم راجحٌ عقله ، هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه ، ولابد أن نتساءل هنا فنقول :

أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق ، في الذات والصفات والأفعال ؟

الجواب الذي لا جواب غيره : بلى .

وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يُقال : إن اللفظ الدال على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق؟ .

والجواب الذي لا جواب غيره : لا .

إذاً : فبأي وجهٍ يتصور عاقل أن لفظاً أنزله الله في كتابه مثلاً دالاً على صفة من صفات الله التي أثنى بها على نفسه يكون ظاهرهُ المتبادر منه ، مشابهته لصفة الخلق ؟ .. سبحانك هذا بهتان عظيم ! .

وبأي وجهٍ يُعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق ؟ .. أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق ؟ .

فالظاهر المتبادر من لفظ « اليد » بالنسبة للمخلوق هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم ، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو

قولـه تعالى : ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[(١)] .. والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قولـه تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[(٢)] أنها صفة كمال وجلال لائقة بالله جل وعلا ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله .

[تنبيه مهم :]

فإن قيل دل الكتاب والسنة وإجماع السلف على أن الله وصف نفسه بصفة اليدين لقولـه تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ، وقولـه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[(٣)] ، وقولـه تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[(٤)] .

والأحاديث الدالة على مثل ما دلت عليه الآيات المذكورة كثيرة كما هو معلوم[(٥)] ، وأجمع المسلمون على أنه جل وعلا لا يجوز أن

---

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) الآية رقم ٧٥ من سورة ص .

(٣) الآية رقم ٦٤ من سورة المائدة .

(٤) الآية رقم ٦٧ ، من سورة الزمر .

(٥) منها ما رواه أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم ليتصدق بالتمرة من طيب ، ولا يقبل الله إلا طيباً ، فيجعله الله في يده اليمنى » الحديث أخرجه =

يوصف بصفة الأيدي مع أنه تعالى قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾[1] ، فلماذا أجمع المسلمون على تقديم آية ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ على آية ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ؟.

فالجواب : إنه لا خلاف بين أهل اللسان العربي ولا بين المسلمين أن صيغ الجموع تأتي بالمعنيين :

أحدهما : إرادة التعظيم فقط ، فلا يدخل في صيغة الجمع تعدد أصلاً ؛ لأن صيغة الجمع المراد بها التعظيم ، إنما يراد بها واحد.

الثاني : أن يراد بصيغة الجمع معنى الجمع المعروف ، وإذا علمت ذلك ، فاعلم أن القرآن العظيم يكثر فيه جداً إطلاق الله جل وعلا على نفسه صيغة الجمع يريد بذلك تعظيم نفسه ، ولا يريد بذلك تعدداً ولا أن معه غيره ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[2] ؛ فصيغة الجمع في

= البخاري في كتاب الزكاة (٢/١١٣) ، ومسلم في كتاب الزكاة (٢/٧٠٢) ، وأصحاب السنن .. وقد ساق الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد عدة أحاديث فيها إثبات صفة اليدين لله عز وجل . انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ج١ باب إثبات اليد للخالق جل وعلا ص١١٨ .

(١) الآية رقم ٧١ من سورة يس .

(٢) الآية رقم ٩ من سورة الحجر .

قوله : ﴿ إِنَّا ﴾ ، وفي قوله : ﴿ نَحْنُ ﴾ ، وفي قوله : ﴿ لَحَٰفِظُونَ ﴾ لا يراد بها أن معه منزلاً للذكر وحافظاً له غيره تعالى .

بل هو وحده المنزل والحافظ له ، ونحو هذا كثير في القرآن جداً ، وبذلك تعلم أن صيغة الجمع في قوله ﴿إِنَّا﴾ ، وفي قوله : ﴿خَلَقْنَا﴾ ، وفي قوله : ﴿ عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ إنما يراد بها التعظيم ، ولا يراد بها التعدد أصلاً .

وإذا كان يراد بها التعظيم ، لا التعدد عُلِمَ بذلك أنها لا تصح بها معارضة قوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ؛ لأنها دلت على صفة اليدين ، والجمع في قوله : ﴿ أَيْدِينَآ ﴾ لمجرد التعظيم[1] .

[**تنبيه :**]

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[2] ؛ فقوله : ﴿بَنَيْنَٰهَا

---

(١) وقد سمعت الشيخ ابن جبرين حفظه الله في تعليقه على كتاب التوحيد لابن خزيمة يقول : إن لفظ اليد في القرآن الكريم ذكر بثلاثة ألفاظ .

١- المفرد : كما في قوله تعالى : ﴿بيده الملك﴾ .

٢- المثنى : كما في قوله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي﴾ .

٣- الجمع : كما في قوله تعالى: ﴿مما عملت أيدينا﴾ ، وقد ذكر العلماء أن المقصود بلفظ الإفراد هو الجنس ، وبلفظ المثنى الحقيقة ، وبلفظ الجمع التعظيم . اهـ.

(٢) الآية رقم ٤٧ ، من سورة الذاريات .

﴿بِأَيْيْدٍ﴾ ليس من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم ؛ لأن قوله ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ ليس جمع يد ، وإنما الأيد القوة ، فوزن قوله هنا بأيد «فعل»، ووزن الأيدي « أفعل » ، فالهمزة في قوله : ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ في مكان الفاء ، والياء في مكان العين ، والدال في مكان اللام ، ولو كان في قوله تعالى : ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ جمع يد لكان وزنه « أفعلاً » ، فتكون الهمزة زائدة والياء في مكان الفاء ، والدال في مكان العين ، والياء المحذوفة لكونه منقوصاً هي اللام .

والأيد والآد في لغة العرب بمعنى القوة ، ورجل أيد أي قوي ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[1] أي : قوّيناه به ، فمن ظن أنها جمع يد في هذه الآية فقد غلط غلطاً فاحشاً ، والمعنى : والسماء بنيناها بقوة[2] .

* * *

(١) الآية رقم ٨٧ من سورة البقرة .

(٢) وهذا هو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وسفيان الثوري وابن زيد واختاره ابن جرير الطبري في تفسيره . انظر جامع البيان في تأويل القرآن عند الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

[إطلاقات التأويل]

واعلموا أن التأويل يطلق في الاصطلاح مشتركاً بين ثلاثة معانٍ :

١- يطلق على ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال ، وهذا هو معناه في القرآن نحو قوله : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[١] ، وقوله : ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ..﴾[٣] .

٢- ويطلق التأويل ويراد به التفسير وهذا تأويلٌ معروف كقول ابن جرير[٤] في تفسيره : القول في تأويل قوله تعالى كذا ، أي : تفسيره.

---

(١) الآية رقم ٥٩ من سورة النساء .

(٢) الآية رقم ٣٩ من سورة يونس .

(٣) الآية رقم ٥٣ من سورة الأعراف .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ، الإمام العالم المجتهد ، كنيته أبوجعفر . ولد سنة ٢٢٤هـ وأكثر الترحال في طلب العلم ، وله تصانيف كثيرة في مختلف العلوم والفنون ، من أعظمها تفسيره المسمى « جامع البيان في تأويل القرآن » ، قال أبوحامد الأسفراييني : لو سافر رجل إلى الصين حتى يُحصِّل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً . قال عنه الذهبي : كان ثقة صادقاً حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع ، علاّمة في التاريخ ، عارفاً بالقراءات واللغة. توفي سنة ٣١٠هـ رحمه الله .

انظر: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢ ، سير أعلام النبلاء رقم الترجمة (٥٠٣٥) .

٣- وأما في اصطلاح الأصوليين فالتأويل : هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه بدليل ، وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه له عند العلماء الأصوليين ثلاث حالات :

[حالات صرف اللفظ عن ظاهره عند الأصوليين[1]]

الحالة الأولى : إما أن يصرفه عن ظاهره المتبادر منه بدليل صحيح من كتاب أو سنة ، وهذا النوع من التأويل صحيحٌ مقبول لا نزاع فيه ، ومثاله : ما ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال : « **الجار أحق بصقبه**»[2] .

فظاهر هذا الحديث ثبوت الشفعة للجار ، وحَمْلُ هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حملٌ للفظ على محتمل مرجوح غير ظاهر ، إلا أن حديث جابر رضي الله عنه الصحيح ولفظه : « **فإذا صرفت الطرق وضربت الحدود فلا شفعة**»[3] دلَّ على أن المراد بالجار الذي هو

(١) لمزيد من الاطلاع يُراجع « معالم في أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة » للشيخ محمد بن حسين آل حسن ، ص٣٩٤ .

(٢) الحديث صحيح ، أخرجه البخاري برقم ٢٢٥٨ ، وأبوداوود برقم ٣٥١٦ ، والنسائي برقم ٤٧١٦ ، ابن ماجه برقم ٢٤٩٥ ، وأحمد في مسنده ٦/ ٣٩ من طريق أبي رافع ، وأخرجه النسائي أيضاً برقم ٤٧١٧ ، وابن ماجه ٢٤٩٦ من طريق الشريد بن سويد .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الشفعة رقم ٢٢٥٧ ، وأخرجه مسلم من طريق ابن الزبير برقم ١٦٠٨ في كتاب المساقاة ، وأحمد في مسنده ، =

أحق بصقبه خصوص الشريك المقاسم ، وهذا النوع من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه بدليل واضح يجب الرجوع إليه من كتاب أو سنة يُسمى تأويله تأويلاً صحيحاً وقريباً ولا مانع منه إذا دلَّ عليه النص .

الحالة الثانية : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه بشيء يعتقده المجتهد دليلاً وهو في نفس الأمر ليس بدليل ؛ فهذا يسمى تأويلاً بعيداً، وقد مثَّل له بعض العلماء بتأويل الإمام أبي حنيفة[1] رحمه الله لفظ «المرأة» في قوله : « **أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل**»[2] .

= والشافعي في مسنده برقم ٥٧٣ في باب الشفعة ، وأبوداود في كتاب البيوع برقم ٣٥٠ من طريق أبي سلمة .

(١) هو الإمام الفقيه ، عالم العراق ، أبوحنيفة النعمان بن ثابت التيمي ، الكوفي ، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ، قال عنه يحيى بن معين : كان ثقة لا يحدِّث بالحديث إلا بما يحفظه ، ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضياً .. وقال الشافعي عنه: الناس عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة .. وقال الذهبي : الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام ، وهذا أمرٌ لا شك فيه ، وتوفي شهيداً مسقياً في سنة ١٥٠هـ [تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٠] .

(٢) الحديث صحيح ، أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٦٦ ، وأبوداوود ٢/ ٢٠٨٣ ، والترمذي٣/ ١١٠٢ ، وابن ماجه ١/ ١٨٧٩ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٦٨ ، وقال الترمذي: حسن ، وقال الحاكم : على شرط الشيخين، وصححه الألباني =

فقال العلماء : حَمْلُ هذا على خصوص المكاتبة[1] تأويلٌ بعيد ؛ لأنه صرفٌ للفظ عن ظاهره المتبادر منه ، ولأن «أي» في قوله «أيُّما امرأة» صيغة عموم ، وأُكدت صيغة العموم بـ «ما» المزيدة للتوكيد ، فحملُ هذا على صورة نادرة وهي المكاتبة يعتبر حملاً للفظ على غير ظاهره من غير دليل جازم يجب الرجوع إليه .

والحالة الثالثة : صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل فهذا لا يُسمى تأويلاً في الاصطلاح ، وإنما يقول له الأصوليون « لعب » ؛ لأنه تلاعب بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ ومن

= في الإرواء ١٨٤٠ ، وصحيح الجامع ٢٧٠٩ . انظر الجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٦١٣ . نشر مكتبة نزار الباز .

(١) **المكاتبة** : هي أن يُكاتب السيدُ عبدَه أو أمَتَه على مال يؤديه مُنَجَّماً عليه ، فإذا أدَّاه أحدهما فهو حر . انظر : حاشية الروض المربع (٦/ ٢١٠) .

وقد ترجم البخاري رحمه الله في صحيحه باب بيع المكاتب إذا رضي ، واستدل بحديث بريرة رضي الله عنها عندما دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت : إن أهلي كاتبوني على تسع أواق في تسع سنين ، كل سنة أوقية ، فأعينيني ... إلخ الحديث . أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه (٢٥٦٣) ، ومسلم في صحيحه (١٥٠٤) في باب العتق ، وأبوداوود في سننه (٢٩١٥) ، والإمام مالك في الموطأ في كتاب العتق (١٧-١٨) . وانظر تفسير القرطبي رحمه الله في سورة النور عند قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ...﴾ الآية .

هذا تفسير غلاة الروافض[1] قولـه تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[2] قالوا : عائشة .

ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظاهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان ، كقولهم (استوى) بمعنى استولى ، فهذا

---

(١) **الرافضة** : من الفرق الباطنية الضالة ، سُمُّوا بالرافضة ؛ لأنهم يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويتبرءون منهما ، ويلعنونهما ، بل ويشتمون عائشة رضي الله عنها ويتهمونها بالزنا ـ عاملهم الله بما يستحقون ـ .
وقيل : سموا رافضة ؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين عندما أبى أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال : هما وزيرا جدي ـ يعني بذلك الرسول ﷺ ـ فانصرفوا عنه بعد ذلك ورفضوه. فقال لهم: رفضتموني ؛ فسُمُّوا بذلك .. وأما عقيدتهم في الأسماء والصفات فهم ينفون الأسماء والصفات فيقولون: ليس لله سمع ولا بصر ، وليس له وجه ولا يد ولا رجل .. إلخ ، وليس داخل العالَم ولا خارجه ، فوافقوا المعتزلة ، بل نسبوا الأسماء والصفات إلى أئمتهم ، فقد ذكر أحد علمائهم وهو الكليني في كتابه الكافي في الأصول عند قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ قال جعفر بن محمد : نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفتنا . انتهى .. وقالوا : القرآن مخلوق فوافقوا الجهمية فأنكروا صفة الكلام . نعوذ بالله من الضلال وأهله .
وانظر : اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص٧٧ ، والبرهان في معرفة عقائد الأديان، ص٦٥ ، والمنتقى من منهاج السنة والاعتدال. للذهبي ، ص١٢٠.

(٢) الآية ٦٧ من سورة البقرة .

لايدخل في اسم التأويل ؛ لأنه لا دليل عليه ألبتة ، وإنما يُسمى في اصطلاح الأصوليين «لعباً» ، وهو لا يجوز لأنه تهجُّم على كلام رب العالمين .

والقاعدة المعروفة عند علماء السلف ؛ أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليلٍ واضحٍ صحيحٍ يجب الرجوع إليه .

[الرد على القائلين بأن صفات الله عز وجل على سبيل المجاز(1)]

قال رحمه الله : إن إثبات التنزيه والكمال والجلال لله حقيقة لا مجازاً ، وهذا لا ينكره مسلم ، ومما يدعو إلى التصريح بلفظ الحقيقة ونفي المجاز كثرة الجاهلين الذين زعموا أن تلك الصفات لا حقائق لها ، وأنها كلها مجازات وجعلوا ذلك طريقاً إلى نفيها ؛ لأن المجاز يجوز نفيه ، والحقيقة لا يجوز نفيها .

فقالوا مثلاً : اليد مجاز يراد به : القدرة أوالنعمة أو الجود ، فنفوا

---

(١) المجاز : مأخوذ من الجواز الذي هو التعدي ، كما يقال : جزتُ هذا الموضع أي جاوزته وتعديته ، والمراد بالمجاز عند المتكلمين ومن وافقهم من أهل اللغة هو «اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ؛ لعلاقة مع قرينة » . انظر : إرشاد الفحول ص٢١ ، والمحصول (٣٩٦/١) ، وللتوسع في هذا الموضوع يراجع تصنيف المؤلف رحمه الله في كتابه الموسوم بـ«منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» .

صفة اليد ؛ لأنها مجاز .

وقالوا : على العرش استوى مجاز ، فنفوا الاستواء ؛ لأنه مجاز .

وقالوا : معنى استوى : استولى ، وشبهوا استيلاءه باستيلاء بشر بن مروان على العراق(١) .

---

(١) أول من فسَّر الاستواء بالاستيلاء بعض الجهمية والمعتزلة ، ويستدلون بقول بعض الشعراء :

قد استوى بشرٌ على العراق　　　من غير سيف أو دمٍ مهراق

والرد عليهم من وجوه :

أولاً : أن الاستواء خاص بالعرش ، والاستيلاء عام على جميع المخلوقين .

ثانياً : أنه أخبر بخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وأخبر أن عرشه على الماء قبل خلقهما كما جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عند البخاري قال : قال رسول الله ﷺ : « **كان الله ولا شيء غيره ، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض..** » الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (الفتح ١٣/ ٧٤٨) ، والاستواء متأخرٌ عن خلقهن ، والله مستول على العرش قبل خلق السموات وبعده ، فعُلِم أن الاستواء على العرش الخاص به غير الاستيلاء العام عليه وعلى غيره .

ثالثاً : أن معنى الكلمة مشهور ، كما قال بعض السلف ، وأنه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوماً لم يحتج الإمام مالك رحمه الله بقوله : والكيف مجهول؛ لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي ما قد عُلم أصله .

رابعاً: يلزمُ من تفسير الاستواء بالاستيلاء أن الله مستوٍ على الأرض ونحوها. =

وهل يُعلم - أيها الإخوان - تشبيهٌ في الدنيا أشنع ولا أفظع ولا أقبح من تشبيه استيلاء الله على عرشه الذي زعم باستيلاء بشر بن مروان على العراق ؟! وهل يرضى عاقل أن يُشبَّه العراقُ بالعرش ، وأن يُشبَّه الله جلا وعلا ببشر بن مروان باستيلائه على العراق ؟!

هل تعقلون في الدنيا تشبيهاً أخسَّ من هذا ، وأشنع من هذا ، وأفظع من هذا ؟!

فنقول لمن استدل بهذا البيت : أَلَمْ تعلم أنك بدعواك واستدلالك

= خامساً : أن إحداث القول في كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد الأمرين :

١- أن يكون خطأً في نفسه .

٢- أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ .

ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من أقوال السلف .

سادساً : أن هذا قد اطَّرَدَ في القرآن والسنة ، حيث ورد لفظ الاستواء دون الاستيلاء ، ولو كان معناه استولى لكان استعماله في أكثر موارده ؛ لذلك قال ابن القيم رحمه الله :

وكذلك اطردت بلا لامٍ ولو كانت بمعنى اللام في الأذهان
لأتت بها في موضعٍ كي يحمل الـ ـباقي عليها بالبيان الثاني

انظر : « الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ١٤٤ ، والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية . للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان رحمه الله (ص١٩٣-١٩٤) .

بالبيت على استواء بشر بن مروان على العراق أنك أنت أكثر المشبِّهين في الدنيا نصيباً في التشبيه ؛ حيث شبَّهت العرش بالعراق ، وشبَّهت خالق السموات والأرض في استيلائه على عرشه باستيلاء بشر بن مروان على العراق ، ثم لتعلم أن الاستيلاء الذي جئت به وبدّلت به لفظ القرآن أنه هو أشد الصفات توغلاً في التشبيه ؛ لأنك لما قلت : «استوى على العرش » معناه « استولى » صرت مشبهاً لله بكل مخلوق قهر مخلوقاً فغلبه فاستولى عليه ، والمخلوقات التي تقهر المخلوقات فتغلبها فتستولي عليها تُعد بالملايين ؛ فالاستيلاء أكثر الصفات توغلاً في التشبيه ، فصاحبه يُشبِّه اللهَ بكلِّ مخلوقٍ قهرَ مخلوقاً فغلَبه فاستولى عليه ، وهذا الاستيلاء تحته من التشبيه بحورٌ لا سواحل لها تُعدُّ بالملايين والآلاف ، ولا شك أن هذا المسكين المغرور سيضطر ويقول : الاستيلاء الذين فسّرتُ به الاستواء واستشهدت له ببيت الرجز استيلاءٌ منزَّه عن استيلاء المخلوقين ، فنقول له : نُناشدك الله أنصف في الجواب ولا تُعميك الأهواء والتعصبات ، أيهما أحق بالتنزيه ؟ الاستواء الذي هو من كلام رب العالمين ، ولفظ القرآن العظيم نزل به الروح الأمين من فوق سبع سموات على سيد الخلق ﷺ قرآناً يُتلى ، الحرف منه بعشر حسنات ، يُقرأ به في الصلوات ، ومن أنكر أنه من كلام رب العالمين كفر بإجماع العلماء ، فهذا هو الأحق بالتنزيه ، أم

الأحق بالتنزيه لفظة « الاستيلاء » الذي جاء به ناس من قِبل أنفسهم من غير اعتماد على دليل من كتاب أو سنة ولا عقل ولا لغة ولا شيء ؟ .. ولا شك أنه إنْ لم يكن مُكابراً سيضطر إلى أن يقول : كلام رب العالمين أحق بالتنزيه والإجلال والتقديس من كلام جاء به ناسٌ من غير اعتماد على كتاب ولا سنة ؛ فلذا مذهب الخلف تحته ثلاث بلايا :

أولاها : أنهم يَدَّعُون على آيات الله التي مدح بها نفسه أن ظاهرها خبيث وقذر ، فكأنهم يقولون لله : هذا الذي مدحت به نفسك وأثنيت به على نفسك ، وعلَّمت خلقك أن يمدحوك به في كتابك ، هذا قذر نجس لا يليق ، ونحن نأتيك بالكمال من عند أنفسنا ، ويأتوا بكمال من عند أنفسهم مزعوم! فهذا من الجنون والهوس الذي لا يقول به عاقل .

فالبلية الأولى : هي الادِّعاء على النصوص أن ظاهرها لا يليق بالله تعالى .

والبلية الثانية : هي نفي الصفات التي مدح الله بها نفسه .

والبلية الثالثة : هي الأمر الذي يجيئون به من عند أنفسهم ، الذي هو أعظم الأمور تشبيهاً ، وأوغلها في التشبيه ، فبأي عقل وبأي نقل ، وبأي كتاب أو سنة يسوغ لأحد الخلف أن يُشبِّه استيلاء الله على

عرشه الذي زعم باستيلاء بشر بن مروان على العراق ؟[١] .

فهذا أخس التشبيه وأشنع التشبيه ، ولو كان عالماً بما يعلم به السلف الصالح ؛ لعلم أن الاستواء الذي مدح الله به نفسه أنه بالغٌ في غايات الكمال والجلال ما يقطع علائق الوساوس وأوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين ، فيثبته لله كما أثبته على نفسه إثباتاً منزهاً عن مشابهة صفات المخلوقين على نحو : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢] .

ولو تدبروا كتاب الله لمنعهم ذلك من تبديل الاستواء بالاستيلاء ، وتبديل اليد بالقدرة أو النعمة ؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[٣] .

---

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم الأموي ، أحد الأجواد . وُلِّي العراقين من قِبل أخيه عبدالملك بن مروان . أصابه مرضٌ في جسمه حتى هلك . توفي سنة ٧٥هـ وقد رثاه الفرزدق بقصيدة أبكت السامعين . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ترجمة قم (١١٩٥) .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) الآية ٥٩ من سورة البقرة .

فالقول الذي قاله الله لهم هو قوله « حطة » ، وهي فعلة من الحطّ بمعنى الوضع خبر لمبتدأ محذوف أي : دعاؤنا ومسألتنا لك حطة لذنوبنا، أي حطٌّ ووضعٌ لها عنا ، فهي بمعنى طلب المغفرة .

وفي بعض روايات الحديث أنهم بدَّلوا هذا القول بأن زادوا نوناً فقط فقالوا : حنطة وهي القمح .

فأهلُ التأويل قيل لهم : على العرش استوى فزادوا لاماً فقالوا : استولى ، وهذه اللام التي زادوها أشبه شيء بالنون التي زادها اليهود في قولـه تعالى : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾[1] ، والله سبحانه وتعالى منع تبديل

---

(١) الآية ٥٨ ، من سورة البقرة . وقد ذكر هذا الكلام ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» عند صفة الاستواء .

وذكره أيضاً ابن القيم في نونيته وبيَّن أن شيخ الإسلام ابن تيمية صنَّف مصنفاً في الرد على هؤلاء من عشرين وجهاً ، وأحال رحمه الله على كتابه الصواعق المرسلة فقال :

عشرون وجهاً تبطل التأويل باسـ	ـتولى فـلا تخـرج عـن القـرآن
قـد أفـردتْ بمصـنفٍ هـو عـندنا	تصـنيف حَـبْرٍ عـالمٍ ربَّـاني
ولقـد ذكـرنا أربعـين طـريقة	قـد أبطلـت هـذا بحسـن بـيانِ
هـي في الصواعق إن ترد تحقيقها	لا تختـفي إلا عـلى العمـيان
نـونُ الـيهودِ ولامُ جهمـيٍّ همـا	في وحـي رب العـرش زائدتـان

انظر شرح النونية لهراس (١/ ٣١٠-٣١١) .

القرآن بغيره فقال : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[(١)] ، ولا شك أن من بدل «استوى» بـ «استولى» لم يتبع ما أُوحي إلى النبي ﷺ .

وهل كان أحدٌ يغالب اللهَ على عرشه حتى غلبَه على العرش واستولى عليه ؟ .

وهل يُوجد شيء إلا والله مستولٍ عليه ، فالله مستولٍ على كل عرش ، وهل يجوز أن يُقال : إنه تعالى استوى على كل شيء غير العرش ؛ إذاً فافهم وتنبه ! .

وعلى كل حال فإن المؤول زعم أن الاستواء يوهم غير اللائق بالله لاستلزامه مشابهة استواء الخلق ، وجاء بدله بالاستيلاء ؛ لأنه هو اللائق به في زعمه ولم يتنبه ، لأن تشبيه استيلاء الله على عرشه باستيلاء بشر بن مروان على العراق هو أفظع أنواع التشبيه ، وليس بلائق قطعاً ؛ إلا أنه يقول : إن الاستيلاء المزعوم منزه عن مشابهة الخلق ، مع أنه ضرب له المثل باستيلاء بشر على العراق والله يقول : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)] .

فنقول : إذا علمت أنه لابد من تنزيه أحد اللفظين ، أي لفظ

---

(١) الآية ١٥ من سورة يونس .

(٢) الآية ٧٤ من سورة النحل .

«استوى» الذي أنزل الله به الملك على الرسول قرآناً يتلى ، ولفظ «استولى» الذي جاء به قومٌ من تلقاء أنفسهم من غير استناد إلى نص من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من السلف ؛ فأي الكلمتين أحق بالتنزيه في رأيك ؟ .

أهي كلمة القرآن المنزلة من الله على رسوله ؟ أم كلمتكم التي جئتم بها من تلقاء أنفسكم من غير مستندٍ أصلاً ؟ .

والجواب في غاية الوضوح ! .

واعلم أنَّما ذكرنا من أن ما وصف الله به نفسه من الصفات فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً ، على الوجه اللائق بكماله وجلاله ، هو معتقد عامة السلف ، وهو الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، بل هو معتقد أبي الحسن الأشعري[1] رحمه الله .

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري ، وإليه تنسب طائفة الأشعرية .
وُلد في البصرة وسكن بغداد ، وقام بالرد على بعض الطوائف الضالة أمثال : المعتزلة والشيعة والجهمية والخوارج ... إلخ ، وتوفي في بغداد سنة ٣٢٤هـ .
وله عدة مؤلفات أشهرها: «الإبانة عن أصول الديانة» و «الرد على الملحدين الخارجين عن الملة» و «خلق الأعمال» و «الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرآن» و «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» . انظر : الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣) ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٧/ ٣٥) .

[الدلائل القاطعة على رجوع أبي الحسن عن اعتقاده إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة[١] :]

فمن ادَّعى على أبي الحسن الأشعري أنه يؤوِّل صفة من الصفات ، كالوجه واليد والاستواء ونحو ذلك فقد افترى عليه افتراءً عظيماً ، بل الأشعري رحمه الله مصرِّحٌ في كتبه العظيمة التي صنفها بعد رجوعه عن الاعتزال كالموجز ، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، والإبانة عن أصول الديانة ؛ أن معتقده الذي يدين الله به هو ما كان عليه السلف الصالح من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ ، وإثبات ذلك كله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل ، وأن ذلك لا يصلح تأويله ولا القول بالمجاز فيه ، وأن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو مذهب المعتزلة ومن ضاهاهم ، وهو أعلم الناس بأقوال المعتزلة ؛ لأنه كان أعظم إمام في مذهبهم قبل أن يهديه الله إلى الحق ، وسنذكر هنا بعض نصوص أبي الحسن الأشعري رحمه الله لتعلم صحة ما ذكرناه عنه :

قال رحمه الله في كتابه « الإبانة عن أصول الديانة » الذي قال غير واحد أنه آخر كتاب صنَّفه ، ما نصه :

---

(١) وقد ذكر ذلك ابن القيم في نونيته بشرح خليل هراس (١/ ٢٣٣) ، (٢/ ٢٧١).

«فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية[١] والحرورية[٢] والرافضة والمرجئة[٣] فعرفونا قولكم الذي تقولون به وديانتكم التي

---

(١) هم أصحاب جهم بن صفوان وإليه يُنسبون . ظهرت بدعته بمدينة « تِرمذ » ، وقد وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزاد عليهم أشياء كثيرة من الضلال ، تتلمذ على الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبدالله القسري سنة ١٢٤هـ بسبب زندقته وإلحاده ، فهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وتعطيل صفات الله عز وجل ، وقد كان الجهم بن صفوان يخرج بأصحابه فيقفهم على المجذومين ويقول : انظروا أرحم الراحمين يفعل هذا ! .. إنكاراً لرحمته سبحانه كما أنكر حكمته ، وقد قتله مسلم بن أحوز المازني في آخر خلافة مُلك بني أمية . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦-٨٨) .

وقد حكى ابن القيم رحمه الله في نونيته أن خمسمائة عالم قالوا بكفرهم فقال :

ولقد تقلَّد كُفرَهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدانِ
واللالكائي الإمام حكاه عنـ ـهم بل حكاه قبله الطبراني

انظر : شرح النونية لهراس ١/ ١٢١ .

(٢) هم إحدى فرق الخوارج ، سُموا بذلك نسبة إلى قريةٍ في الكوفة يُقال لها «حروراء» . اجتمع الخوارج في هذه القرية حين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعقيدتهم في صفات الله عز وجل أنهم يؤولونها وينفون الشفاعة ويقولون بخلق القرآن ويُكفِّرون مرتكبَ الكبيرة . انظر : الأجوبة الأصولية للشيخ عبدالعزيز السلمان رحمه الله (ص٢١٦) ، ومعجم ألفاظ العقيدة (ص١٤٦) .

(٣) سُموا بذلك نسبة إلى الإرجاء ؛ لأنهم أخرجوا الأعمال عن الإيمان ، حيث =

تدينون بها .

قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا ﷺ ، وما كان روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل(١) نضَّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولمن خالف قوله مُجَانبُون ؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان به الحق ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين وشك

= زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق ، وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان ، ولا شك أن هذا مذهبٌ باطلٌ ترده النصوص الصريحة الصحيحة من الكتاب والسنة . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٩) ، والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية. للشيخ عبدالعزيز السلمان رحمه الله ، (ص٢١٥) .

(١) هو أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المشهور في الفقه والحديث ونصرة الإسلام ، إمام أهل السنة والجماعة ، أعزَّ الله به السنة وقمع به البدعة ، وفضائله كثيرة تكاد لا تحصر. قال عنه علي بن المديني: «إن الله أعزَّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبي بكر يوم الردّة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة». ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ . وله مؤلفات كثيرة من أشهرها «المسند من أحاديث الرسول ﷺ» . انظر : تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢ .

الشاكّين ، فرحمة الله عليه من إمامٍ مقدَّم وخليلٍ معظَّمٍ مفخَّم ، وعلى جميع أئمة المسلمين .

وجملة قولنا :

أنَّا نقرُّ بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً .

وأن الله عز وجل إلهٌ واحدٌ لا إله إلاَّ هو فردٌ[١] صمدٌ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمد عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأنَّ الجنة حق ، وأن النار حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله استوى على عرشه كما قال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] ، وقال : ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٣] ، وقال : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[٤] ، وقال : ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى

(١) « الفرد » ليس من أسماء الله عز وجل ؛ لأن أسماء الله توقيفية لا تثبت إلا بنص من الكتاب أو بنص صحيح من السنة ، وأما الحديث الذي ورد فيه لفظ «الفرد» فإنه نفس الحديث السابق الذي ورد فيه لفظ « القديم » ، وقد بسطتُ الكلام على إسناده ، وتبين ـ ولله الحمد ـ أنه لا تقوم به حجة ؛ لأن أئمة أهل الحديث أجمعوا على تضعيفه . انظر : ص٤١ من هذا الكتاب .

(٢) الآية ٥ من سورة طه .

(٣) الآية ١٠ من سورة فاطر .

(٤) الآية ١٥٨ من سورة النساء .

ﭐلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾[١] .

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية أن معنى قوله «استوى» بمعنى «استولى وملك وقهر» ، وأن الله في كل مكان ، وجحدوا أن الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق .

فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو سبحانه مستولٍ على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأفراد وقادرٌ على الأشياء ومستولٍ عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن الله عز وجل مستوٍ على الحشوش والأخلية ؛ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواءً يختص العرش دون الأشياء كلها .

وقال أيضاً رحمه الله : ونُقر بأن لله عز وجل وجهاً كما قال تعالى : ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[٢] ، وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[٣] ، وكما قال : ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[٤] ، وأن له عينين

(١) الآية ٥ من سورة السجدة .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(٣) الآية ٧٥ من سورة ص .

(٤) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

بلا كيف كما قال : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[١]. اهـ[٢] . محل الغرض منه بلفظه.

وقال أيضاً في كتابه « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » ما نصه : « وقال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ولا يشبه الأشياء ، وأنه على العرش كما قال : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ، ولا نقدم بين يدي الله في القول بل نقول : استوى بلا كيف . اهـ[٣] .

فتراه رحمه الله صرَّح في كتاب الإبانة وكتاب المقالات بأن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو قول المعتزلة ، وليس هو قول أحد من أهل السنة.

فليعلم مؤولو الاستواء بالاستيلاء ؛ أن سلفهم في ذلك المعتزلة والجهمية والحرورية لا أبوالحسن الأشعري رحمه الله أو أحد من السلف.

وبهذا يتضح أن أبا الحسن الأشعري رجع عن الاعتزال إلى مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها .

واعلم أن ما يزعمه كثير من الجهلة من أن ما في القرآن العظيم من صفة الاستواء والعلو والفوقية يستلزم الجهة ، وأن ذلك محال على

---

(١) الآية ١٤ من سورة القمر .

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة» ، بتحقيق محب الدين الخطيب ، ص٨ ، الطبعة السلفية .

(٣) « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » بتحقيق : هلموت ريتر ، ص٢١١، الطبعة الثالثة ، دار التراث الإسلامية .

الله ، وأنه يجب نفي الاستواء والعلو والفوقية ، وتأويلها بما لا دليل عليه من المعاني كله باطل .

وسببه سوء الظن بالله وبكتابه ، وعلى كل حال فمدَّعي لزوم الجهة لظواهر نصوص القرآن العظيم ، واستلزام ذلك للنقص الموجب للتأويل يقال له : ما مرادك بالجهة ؟ إن كنت تريد بالجهة مكاناً موجوداً انحصر فيه الله ، فهذا ليس بظاهر القرآن ، ولم يقله أحدٌ من المسلمين ، وإن كنت تريد بالجهة العدم المحض ، فالعدم عبارة عن لا شيء ، فميِّز أولاً بين الشيء الموجود وبين لا شيء .

واعلم أن أئمة القائلين بالتأويل رجعوا قبل موتهم عنه ؛ لأنه مذهب غير مأمون العاقبة ؛ لأن مبناه على ادّعاء أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تليق بالله لظهورها وتبادرها في مشابهة صفات الخلق دون الاستناد إلى كتاب أو سنة أو قول صحابي أو أحد من السلف ، ولا شك أن من هذا مذهبه فإنه جدير أن يرجع عنه إلى مذهب السلف .

[**وقفةُ تأملٍ عند قوله تعالى** : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾] :

وقد أشار الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[1] فتأمل

---

(١) الآية ٥٩ من سورة الفرقان .

قوله : ﴿فَسْئَلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ بعد قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ تعلم أن من وصف الرحمن بالاستواء على العرش خبيرٌ بالرحمن وبصفاته ، لا يخفى عليه اللائق من الصفات وغير اللائق .

فالذي أخبرنا بأنه استوى على العرش هو العليم الخبير الذي هو الرحمن ، وبذلك تعلم أن من يدَّعي أن الاستواء يستلزم التشبيه ، وأنه غير لائق به سبحانه يكون غير خبير ، نعم والله هو غير خبير ! .

*** الأدلة على رجوع القاضي محمد بن الطيب المعروف بأبي بكر الباقلاني[1] عن معتقده إلى اعتقاد مذهب السلف :**

قال الباقلاني في كتاب « التمهيد » ما نصه :

« بابٌ في أنَّ لله وجهاً ويَدَين . فإنْ قال قائل : فما الحجة في أن لله عز وجل وجهاً ويدين؟.

---

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبوبكر ، من كبار العلماء . أصولي عالم بالقراءات . تولى القضاء وانتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة . ولد بالبصرة سنة ٣٣٨هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٤٠٣هـ ، وله مؤلفات كثيرة من أشهرها : « إعجاز القرآن » و « الإنصاف » و « الملل والنحل » و « التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة » .

انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٣٧٩) ، ومعجم المؤلفين (١٠/ ١٠٩) .

قيل له : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٢] ، فأثبت لنفسه وجهاً ويدين .

فإن قالوا : فلِمَ أنكرتم أن يكون المعنى في قوله : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أنه خلقه بقدرته أو نعمته ؟ لأن اليد في اللغة قد تكون بمعنى النعمة ، وبمعنى القدرة ، كما يقال : لي عند فلان يد بيضاء ، يراد به نعمة .

وكما يُقال : هذا الشيء في يد فلان ، وتحت يد فلان ؛ يراد به أنه تحت قدرته وفي ملكه ، ويقال : رجل أيدٌ إذا كان قادراً ، وكما قال تعالى : ﴿ خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾[٣] يريد بقدرتنا ، وقال الشاعر :

إذا ما رايةٌ رُفعَتْ لمجدٍ تلقّاها عرابةُ باليمين[٤]

فكذلك قوله ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ يعني بقدرتي أو نعمتي .

يقال لهم : هذا باطل ؛ لأن قوله ﴿بِيَدَيَّ﴾ يقتضي إثبات يَدَين هما صفة له ، فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان ،

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(٢) الآية ٧٥ من سورة ص .

(٣) الآية ٧١ من سورة يس .

(٤) هذا البيت للشماخ بن ضرار يمدح عرابة الأوسي . انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة (ي م ن) .

وأنتم تزعمون أن للباري قدرة واحدة ، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين ؟ .

وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان ، فبطل ما قلتم .

وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين ؛ لأن نِعَم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تُعَد ولا تُحصى ، ولأن القائل لا يجوز أن يقول : رفعت الشيء بيدي أو وضعته بيدي أو تولّيته بيدي وهو يعني نعمته ، وكذلك لا يجوز أن يقال : لي عند فلان يدان ، يعني : نعمتين ، وإنما يقال : لي عنده يدان بيضاوان ؛ لأن القول : يد ، لا يستعمل إلا في اليد التي هي صفة الذات .

ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه لم يغفل عن ذلك إبليس ، وعن أن يقول : وأي فضل لآدم عليَّ يقتضي أن أسجد له ، وأنا أيضاً بيدك خلقتني التي هي قدرتك ، وبنعمتك خلقتني ؟ وفي العلم بأن الله تعالى فضَّل آدمَ عليه بخلقه بيديه دليلٌ على فساد ما قالوه .

فإن قال قائل : فلِمَ أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذا كنتم لم تعقلوا يد صفة ووجه صفة لا جارحة ؟ .

يقال له : لا يجب ذلك ، كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا

جسماً أن نقضي نحن وأنتم على الله تعالى بذلك .

وكما لا يجب متى كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً[(١)] أو جسماً ؛ لأنا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك » . اهـ . محل الغرض منه بلفظه ، وهو صريح في أنه يرى أن صفة الوجه وصفة اليد وصفة العلم والحياة والقدرة كلها من صفات المعاني ولا وجه للفرق بينها وجميع صفات الله مخالفة لصفات خلقه .

وقال الباقلاني أيضاً في كتاب « التمهيد » ما نصه : « فإن قالوا : فهل تقولون : إنه في كل مكان ؟

قيل : معاذ الله ؛ بل هو مستوٍ على العرش كما أخبر في كتابه فقال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[(٢)] ، وقال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[(٣)] ، وقال : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ

---

(١) الجوهر من الألفاظ التي يستعملها الفلاسفة من أهل الكلام ، ويعنون به الجزء الذي لا يقبل القسمة وهو الشيء الذي لم يدركه أحدٌ بحِسِّه ولا يتميَّز منه جانب عن جانب . انظر : التحفة المهدية للشيخ فالح بن مهدي رحمه الله ، ص١٤١ .
والجوهر في لغة العرب يُطلق على حقيقة الشيء وذاته .
انظر : القاموس المحيط ، مادة (ج هـ ر) ، والمعجم الوسيط، ص١٤٩ .

(٢) الآية ٥ من سورة فاطر .

(٣) الآية ١٠ من سورة فاطر .

ﵟٱلۡأَرۡضَﵞ(١) ، ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان ، وفمه ، وفي الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ، تعالى الله عن ذلك .

ولوجب أن يزيد بزيادة الأماكن إذ خلق منها ما لم يكن خلَقَهُ ، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ، ولصحَّ أن يُرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى ظهورنا وعن أيماننا وشمائلنا .

وهذا ما قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله ، إلى أن قال رحمه الله : ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه كما قال الشاعر :

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ
من غير سيفٍ ولا دمٍ مهراقِ(٢)

---

(١) الآية ١٦ من سورة الملك .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه: «ولم يثبت نقلٌ صحيح أن هذا البيت شعر عربي ، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يُعرف في اللغة ، وقد عُلم أنه لو احتُجَّ بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته ، فكيف ببيتٍ من الشعر لا يُعرف إسناده ، وقد طعن فيه أئمة اللغة ، فقد ذكر أبوالمظفر في كتابه « الإفصاح » قال : سُئل الخليل : هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها ، وهو إمام في اللغة كما هو معروف فحينئذٍ حمله على ما لا يُعرف حملٌ باطل » . انظر الفتاوى لشيخ الإسلام (١٤٦/٥) .

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزلْ قادراً قاهراً عزيزاً مقتدراً .

وقوله : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فيبطل ما قالوه .

فإن قال قائل : ففصِّلوا لي صفات ذاته من صفات فعله .

قيل له : صفات ذاته ؛ هي التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها ، وهي : الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان . اهـ[1] .

وبهذا يتضح تصريحه رحمه الله بأن صفة الوجه واليدين من صفات المعاني كالعلم والقدرة والحياة والإرادة ، وهذا أيضاً هو قول أبي الحسن الأشعري كما أسلفناه .

* * *

(١) انظر : « التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة » لأبي بكر الباقلاني ، ص٤٧ ، ط. دار الفكر العربي .

* الأدلة على رجوع إمام الحرمين أبي المعالي الجويني[١] عن معتقده إلى ما كان عليه السلف :

قال إمام الحرمين أبوالمعالي في رسالته « العقيدة النظامية » :

« اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة ، وامتنع على أهل الحق فحواها وإجراؤها على موجب ما تبرزه أفهام أرباب اللسان منها .

فرأى بعضهم تأويلها ، والتزام هذا المنهج في آي الكتاب وفيما

---

(١) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني الشافعي الأشعري ، المعروف بإمام الحرمين ، أبوالمعالي . فقيه وأصولي متكلم ومفسر أديب . ولد في المحرم سنة ٤١٩هـ ، وجاور في مكة ، وتوفي بالمحفة من قرى نيسابور في ٢٥ من ربيع الآخر من سنة ٤٧٨هـ .
ومن أشهر مؤلفاته : « نهاية المطلب في دراية المذهب » ، « البرهان في أصول الفقه » ، و « تفسير القرآن » . انظر : معجم المؤلفين (٦/ ١٨٤-١٨٥) . ومما أُثر عنه أنه قال في آخر حياته : « يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلتُ به » ثم قال : « لقد خضتُ البحر الخِضمَّ ، وخليتُ أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلتُ في الذي نَهَوني عنه ، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته ؛ فالويلُ لابن الجويني ، وها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور » . انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، بتحقيق : الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، وشعيب الأرناؤوط (ص٢٢٤-٢٤٥) .

صحَّ من سنن النبي ﷺ .

وذهب أئمة السلف إلى أن الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب سبحانه .

والذي نرتضيه رأياً وندين به عَقَداً اتباع سلف الأمة ، فالأولى الاتباع وترك الابتداع ، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حُجَّة متبعة[1] ، وهو مستند مُعْظم الشريعة.

وقد درج صَحْبُ الرسول ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها ، وهم صفوة الإسلام والمشتغلون بأعباء الشريعة ، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، فإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع بحق .

---

(١) ومن الأدلة السمعية على الإجماع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء :١١٥] .

وجه الدلالة من الآية : أن الله توعَّد من اتبع غير سبيل المؤمنين ، فدلَّ أنه حرام ، فيكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً. انظر معالم أصول الفقه (ص١٦٦).

فعلى ذي الدين أن يعتقد تنزُّه الرب تعالى عن صفات المحدثات ولا يخوض في تأويل المشكلات ، ويَكِلْ معناها إلى الرب عز وجل .

ومما استُحسِنَ من إمام دار الهجرة مالك بن أنس[١] أنه سُئل عن قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ؛ فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة [والإيمان به واجب][٢] .

فلتجر آية الاستواء والمجيء[٣] وقوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤] ، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٥] ، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٦] وما صح عن الرسول ﷺ

---

(١) هو إمام دار الهجرة أبوعبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني أحد الأئمة الأعلام . ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ . ومن أشهر كتبه : «الموطأ» و «المدونة» . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٤٨-١٣٥ .

(٢) هذه الزيادة وردت في بعض الروايات ، وهذا القول رُوي عن أم سلمة وربيعة بن أبي عبدالرحمن شيخ الإمام مالك بألفاظ متقاربة ، ولكنه اشتهر عن الإمام مالك رحمه الله .

انظر : الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية. بتحقيق السعوي ص٤٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/ ٦٦٣ .

(٣) الآية ٢٢ من سورة الفجر قال تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ .

(٤) الآية ٧٥ من سورة ص .

(٥) الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(٦) الآية ١٤ من سورة القمر .

كخبر النزول[١] وغيرها على ما ذكرنا ، فهذا بيـان ما يجب لله تعالى». اهـ .

*** الأدلة على رجوع أبي حامد الغزالي[٢] عن معتقده إلى ما كان عليه السلف :**

قال في كتابه « إلجام العوام عن علم الكلام » :

« اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر ، هو مذهب السلف ، أعني الصحابة والتابعين ، ثم قال : إن البرهان

---

(١) وهو ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » ، الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٤) في التوحيد ، ومسلم في صحيحه ج٦ ٣٨ ، ٣٩ في صلاة المسافرين ، والترمذي في سننه رقم ٣٤٩٨ في الدعوات ، وأبوداوود في سننه رقم ١٣١١ في الصلاة.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي . كنيته «أبوحامد»، حكيم متكلم وفقيه أصولي صوفي . ولد في طابران في خراسان ، تتلمذ على يد إمام الحرمين أبي المعالي ، وتوفي في خراسان ، وأهم مؤلفاته «إحياء علوم الدين» ، « المستصفى في أصول الفقه » ، « الحصن الحصين في التجريد والتوحيد » . انظر : معجم المؤلفين (١١/ ٢٦٦-٢٦٩) ، والأعلام (٧/ ٢٢-٢٣).

الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحده ينكشف بتسليم أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل :

[الأصول المسلّمة عند كل مسلم]

الأصل الأول : أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم .

الأصل الثاني : أنه بلَّغ كما أوحي إليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم ولم يكتم شيئاً .

الأصل الثالث : أنَّ أعرف الناس بمعاني كلام الله وأحراهم بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لازموه وحضروا التنزيل وعرفوا التأويل .

الأصل الرابع : أن الصحابة رضي الله عنهم في طول عصرهم على آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل ، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ليلاً ونهاراً ودعوا إليه أولادهم وأهليهم .

وبهذه الأصول الأربعة المسلَّمة عند كل مسلم نعلم أن الحق ما قالوه ، والصواب ما رأوه » . اهـ[١] .

---

(١) « إلجام العوام عن علم الكلام » للغزالي ، بتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، ص٨٧ ، ط. دار الكتاب العربي .

ولا شك أن استدلال الغزالي هذا أن مذهب السلف هو الحق ، استدلال لا شك في صحته ، ووضوح وجه الدليل فيه ، وأن التأويل لو كان سائغاً أو لازماً لبيَّن النبي ﷺ ذلك ، ولقال به أصحابه وتابعوهم كما لا يخفى ، وقد ذكر غير واحد عن الغزالي : أنه رجع في آخر حياته إلى تلاوة كتاب الله وحفظ الأحاديث الصحيحة والاعتراف بأن الحق هو ما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وذكر بعضهم أنه مات وعلى صدره صحيح البخاري رحمه الله[1] .

*** الأدلة على رجوع الفخر الرازي[2] عن معتقده إلى ما كان عليه السلف :**

قال الفخر الرازي في كتابه « أقسى اللذات » :

«لقد اختبرتُ الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية فلم أجدها

(١) ذكر ذلك ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية ، بتحقيق التركي، ١/ ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي ، مفسر كبير ومتكلم فقيه وأصولي حكيم وشاعرٌ أديب ، ولد في « الرَّي » من أعمال فارس وقد نال الثقة والاحترام من الملوك والسلاطين ، وتوفي بـ«هراة» ، وخلف تركة عظيمة. ومن أشهر مؤلفاته « مفاتيح الغيب في تفسير القرآن » ، « المباحث المشرقية في الحكمة الإلهية » ، « الدلائل في عيون المسائل في علم الكلام » ، «السر المكتوم في مخاطبة النجوم » انظر : الأعلام (٦/ ٣١٣) .

تروي غليلاً ، ولا تشفي عليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأُ في الإثبات : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] ، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2] ، وفي النفي : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3] ، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[4] ، ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

وقال في أبيات له مشهورة :

نهايـــــةُ إقــــدامُ العقـــولِ عقـــالُ
وغايـــةُ ســـعي العالمـــينَ ضَـــلالُ
وأرواحـــنُا في وحشـــةٍ مـــن جســومِنا
وحاصـــلُ دنـــيانا أذىً ووبـــالُ
ولم نســتفدْ مـــن بحثـــنا طـولَ عمـــرنا
ســوى أن جمعَنا فيه قِيلَ وقَالُوا » .اهـ[5]

---

(١) الآية ٥ من سورة طه .

(٢) الآية ١٠ من سورة فاطر .

(٣) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٤) الآية ٦٥ من سورة مريم .

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، بتحقيق التركي ، ١/ ٢٤٤ .

وقد ذكر الشهرستـاني[١] عن نفسه أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم ، وقال هذين البيتين :

لعمـري قـد طُفـتُ المعـاهد كـلها
وسـيَّرتُ طـرفي بـين تلـك المعـالمِ
فـلم أرَ إلا واضـعاً كـفَّ حائـرٍ
عـلى ذقـنٍ أو قارعـاً سـن نـادمِ. اهـ[٢]

فيا أيها المعاصرون المتعصِّبون لدعوى أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها خبيث لا يليق بالله ؛ لاستلزامه التشبيه بصفات الخلق ، وأنها يجب نفيها وتأويلها بمعان ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم يقلها رسول الله ﷺ ، ولا أحد من أصحابه ولا من التابعين .

فمن هو سلفكم في هذه الدعوى الباطلة المخالفة لإجماع السلف؟.

---

(١) هو محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، من فلاسفة الإسلام . كان إماماً في علم الكلام على مذهب الأشاعرة ، ونحل الأمم ومذاهب الفلاسفة .. ولد في شهرستان بين نيسابور وخوارزم ، وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ وأقام بها ثلاث سنين ، ثم عاد إلى بلده وتوفي بها سنة ٥٤٨هـ ، ومن أشهر مؤلفاته «نهاية الإقدام في علم الكلام » . انظر : سير أعلام النبلاء ٢/ ١٩٤ .

(٢) انظر تفسير الآية (٢٤) من سورة محمد من تفسير « أضواء البيان » .
وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، بتحقيق التركي ، ١/ ٢٤٤-٢٤٥.

إن كنتم تزعمون أن الأشعري يقول مثل قولكم ، وأنه سلفكم في ذلك فهو بريء منكم ومن دعواكم ، وهو مصرِّح في كتبه التي صنفها بعد الرجوع عن الاعتزال أن القائلين بالتأويل هم المعتزلة ، وهم خصومه وهو خصمهم كما أوضحنا كلامه كما سبق .

وقد بيَّنا أن أئمة القائلين بالتأويل قد اعترفوا بأن التأويل لا مستند له ، وأنَّ الحق هو اتباع مذهب السلف كما أوضحنا ذلك عن أبي بكر الباقلاني ، وأبي المعالي الجويني ، وأبي حامد الغزالي ، وأبي عبدالله الفخر الرازي ، وغيرهم كثير .

ويا إخواني .. اسمعوا نصيحة مشفق ، كل هذا الشر إنماجاء من مسألة ، وهي نجاسة القلب وتنجسه بأقذار التشبيه ، فإذا سمع صاحب هذا القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفةً من صفة الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كنزوله إلى السماء في ثلث الليل الأخير ، وكاستوائه على عرشه ، وكمجيئه يوم القيامة ، وغير ذلك من صفات الكمال والجلال ؛ فأول ما يخطر في ذهن هذا المسكين أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق ، فلا يُقدِّر الله حق قدره فيكون مُشبِّهاً نجس القلب، فيدعوه شؤمُ هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جل جلاله عنه لأجل أنها تشبه صفة المخلوق ، فيكون مشبِّهاً أولاً ، ومعطِّلاً ثانياً ، ضالاً ابتداءً ، ومتهجِّماً على رب العالمين انتهاءً .

[وجه الدلالة من القاعدة الأصولية « لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة »[1] في الرد على أهل التأويل] .

واعلموا أن هنا قاعدة أصولية أطلقها من يُعتد به من أهل العلم ؛ وهي أن النبي ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة لا سيما في العقائد ، ولا سيما لو مشينا على فرضهم الباطل ، أن مثلاً ظاهر آيات الصفات الكفر ، فالنبي ﷺ لم يؤول الاستواء بالاستيلاء ، ولم يؤوّل شيئاً من هذه التأويلات ، ولو كان المراد بها هذه التأويلات لبادر النبي ﷺ إلى بيانها ؛ لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة.

فالحاصل أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحُلُّ جميع الشُّبَه ويُجيب عن جميع الأسئلة .

---

(١) بيَّن القاضي أبويعلى رحمه الله تعليلاً على عدم الجواز في هذه القاعدة وذلك: بأن وقت الحاجة وقتُ أداء ، فإذا لم يكن مبيَّناً تعذَّر الأداء ، فلم يكن بد من البيان. انظر : « العدة في أصول الفقه » للقاضي أبي يعلى (٣/ ٧٢٤) .
وهذه القاعدة من القواعد التي أجمع العلماء عليها ، فقد نقل الإجماع عليها ابن قدامة في كتابه « روضة الناظر » (٢/ ٥٨٥) ، وأبوحامد الغزالي في كتابه «المستصفى» (١/ ٣٦٨) وغيرهم كثير .

[ومما ينبغي تحقيقه لطالب العلم ما يلي] :

١- أن يعلم أولاً أن جميع الصفات من باب واحد ؛ إذ لا فرق بينها ألبتة[1] ، فكما أنكم أثبتم لله جل وعلا سمعاً وبصراً لائقَين بجلاله لا يُشبهان شيئاً من أسماع الحوادث ولا أبصارهم ، فكذلك يلزم أن تقولوا في صفة الاستواء والنزول والمجيء إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال مثل هذا بعينه ؛ لأن الموصوف به واحد وهو الله جل جلاله .

واعلموا أن رب السموات والأرض يستحيل عليه عقلاً أن يصف نفسه بما يلزمه محظور ، أو يلزمه مُحال يؤدي إلى نقص ، فكل ذلك مستحيل عقلاً ؛ فالله عز وجل لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينه وبين خلقه على حد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

٢- وينبغي على طالب العلم أيضاً أن يعلم أن الصفات والذات من باب واحد ، فكما أننا نثبت ذات الله جل وعلا إثباتَ وجودٍ

---

(١) وقد قرّر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وأثبت أصلين :
الأول : القول في بعض الصفات كالقول في البعض .
الثاني : القول في الصفات كالقول في الذات .
انظر : الرسالة التدمرية (ص٣١-٤٣) . ط. العبيكان .

وإيمانٍ ، لا إثباتَ كيفيةٍ مكيفة محددة ، كذلك أيضاً نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات إيمانٍ ووجود ، لا إثباتَ كيفيةٍ وتحديد .

وقد غلط كثيرٌ من الناس بأن أطلقوا على آيات الصفات اسم المتشابه ، وقد يسوغ هذا من جهة كما بينه الإمام مالك ابن أنس رحمه الله .

وأما المعاني ؛ فهي معروفة عند العرب كما قال الإمام مالك : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة . وأطرِده في جميع الصفات .

إذاً ؛ فالشر كل الشر في تشبيه الخالق بالمخلوق ، وتنجُّس القلوب بأقذار التشبيه ؛ فالمسلم إذا سمع صفة وصف الله فيها نفسه أول ما يجب عليه أن يعتقد أن تلك الصفة بالغة من الكمال والجلال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بين الله سبحانه وتعالى وبين صفات المخلوقين ، فتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه كما في قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

٣- وينبغي على طالب العلم أن يعرف أن اللفظ المقرر في الأصول إذا دلَّ على معنى لا يحتمل غيره فإنه يُسمى « نصاً »[١] ،

---

(١) انظر : روضة الناظر (٢/ ٥٦٠) . نشر دار العاصمة ، ومعالم في أصول الفقه (ص٣٩٢) .

وحكم النص الصريح يجب العمل به ولا يُعدل عنه إلا بثبوت النسخ كقوله تعالى : ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[١] .

وإذا كان اللفظ يحتمل معنيين فلا يخلو من حالتين :

الأولى : إما أن يكون أظهر في أحد الاحتمالين من الآخر فيُسمى بالظاهر ، ومقابله يسمى محتملاً مرجوحاً ، والظاهر يجب العمل عليه إلا بدليل صارف عنه كما لو قلت : رأيت أسداً ، فهذا مثلٌ ظاهرٌ في الحيوان المفترس ، محتملٌ للرجل الشجاع .

والثانية : أن يتساوى بينهما ؛ فإن كان الاحتمال يتساوى بينهما فيُسمى في الاصطلاح بالمجمل[٢] ، كما لو قلت : عدا اللصوصُ البارحة على عين زيد ، فإنه يحتمل أن تكون عينه الباصرة عوّرُوها ، أو عينه الجارية غوَّرُوها ، أو عينه ذهبه وفضته سرقوها ، فهذا مُجمل ، وحكم المجمل أن يُتوقف عنه إلا بدليل على التفصيل .

[الظاهر المتبادر من آيات الصفات] :

إذاً ؛ فنقول : ما الظاهر المتبادر من آيات الصفات من نحو قوله :

---

(١) الآية رقم ١٩٦ من سورة البقرة .

(٢) انظر : روضة الناظر ٢/ ٥٧٠ ، ومعالم أصول الفقه (ص٣٩٢) .

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] ، وقوله في صفة النزول والمجيء وما جرى مجرى ذلك ؟ .

أهو مشابهة الخلق حتى يجب علينا أن نؤوّله ونصرفه عن ظاهره ، أو هو التنزيه لربِّ السموات والأرض حتى يجب علينا أن نقره على الظاهر ؟ .

الجواب : إن كل وصف أُسند لربِّ السموات والأرض ؛ فظاهره المتبادر منه عند كل مسلم هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق ، فإقراره على ظاهره هو الحق .

[الرد على أهل الكلام في زعمهم أن الاستواء يستلزم التشبيه]

ثم بعد هذا المبحث الذي ذكرنا نحب أن نذكر كلمة قصيرة لجماعة قرأوا في المنطق والكلام ، ومن هذا نفي بعض الصفات بأدلةٍ كلامية ، كالذي يقول مثلاً : لو كان مستوياً على العرش والعرش مخلوق لكان مشابهاً للحوادث لكنه غير مشابه للحوادث ، فينتج أنه غير مستوٍ على العرش ، وهذه النتيجة الباطلة تضاد سبع آيات من المحكم المنزل ، ولكن هذا مقولٌ على سبيل المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين ،

---

(١) الآية رقم ١٠ من سورة الفتح .

فمقول هذا قياس استثنائي مركب من شرطية متصلة لزومية أُستثني فيه نقيض التالي فأنتج منه نقيض المقدم حسب ما يراه المقيم على الدليل ، ونحن نقول إنه تقرر عند عامة النُّظّار أن القياس الاستثنائي(١) المركب من شرطية متصلة لزومية يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات :

[أوجه القدح على القياس الاستثنائي]

من جهة استثنائيَّته ، ومن جهة شرطيَّته ، إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح ، ومن جهتهما معاً .

وهذه القضية كاذبة الشرطية ، فالربط بين مقدمها وتاليها كاذب كذباً محضاً ؛ ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لسبع آيات من القرآن الكريم .

وإيضاحه أن نقول :

قولكم : « لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث » وهذا الربط بين الأول كاذب ؛ بل هو مستوٍ على عرشه كما قال من

(١) قال الجرجاني رحمه الله : القياس الاستثنائي هو : ما يكون عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه الفعل ، كقولنا : إن كان هذا جسماً فهو متحيِّز ، لكنه جسم ينتج أنه متحيِّز ، وهو بعينه مذكور من القياس ، أو لكنه ليس بمتحيِّز ، ينتج أنه ليس بجسم ، ونقيضه قولنا : إنه جسم مذكورٌ في القياس .اهـ . انظر التعريفات للجرجاني ص١٢٨ ط. دار الفكر بدمشق .

غير مشابهة للحوادث ، كما أن سائر صفاته واقعةٌ كما قال من غير مشابهة للخلق ، ولا يلزم من استوائه على عرشه كما قال أن يشبه شيئاً من صفات المخلوقين ألبتة ؛ بل استواؤه صفةٌ من صفاته .

[الآيات التي تحتوي على الأسس التي تركز عليها هذا المبحث]

وعما أوصي به نفسي وإخواني أن يلتزموا بثلاث آيات من كتاب الله :

الأولى : قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، فننزه رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق .

والآية الثانية : قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فنؤمن بصفات الجلال والكمال الثابتة في الكتاب والسنة على أساس التنزيه كما أتى بقول : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .

والآية الثالثة : هي قوله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1] ، وقد نصَّ الله فيها بالتزام قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيلٌ ومنفي عن الله عز وجل .

فقوله : ﴿يُحِيطُونَ﴾ فعلٌ مضارع ، والفعل الصناعي الذي يسمى

(١) الآية رقم ١١٠ من سورة طه .

بالفعل المضارع وفعل الأمر وفعل الماضي يدخل عند النحويين عن مصدر وزمن كما قال ابن مالك[1] في الخلاصة:

المصــدرُ اســمُ مــا سِــوَى الــزَّمانِ مــن
مدلولَــي الفعــلِ ؛ كــأَمْنٍ مِــنْ : أَمِــن[2]

وقد حرَّر علماء البلاغة في مبحث الاستعارة التبعية أنه يدخل عن مصدر وزمن ونسبة ، فالمصدر كامنٌ في مفهومه إجماعاً فقوله : (يحيطون) تكمن في جوفه الإحاطة فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون يُبنى معه مثلاً على الفتح فيصير : المعنى لا إحاطة علماً لرب السموات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها ؛ فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين ، فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيئ ولا صفة يد ولا أصابع ولا عجب ولا ضحك[3]... ؛ لأن هذه الصفات كلها من باب واحد ،

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن مالك الطائي . إمام في اللغة وله كتب عديدة في النحو من أشهرها « التسهيل » ، « الألفية » ، « الكافية » . قال عنه الذهبي : إمام أهل العربية واللغة ، حجة الأدباء وبقية السلف . كان مضرب المثل في دقائق النحـو ، ...إلخ ، توفي سنة ٦٧٢هـ . انظر: سير أعلام النبلاء ترجمة رقم (٥٤١٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٧/ ٥١٣. بتحقيق د. التركي .

(٢) انظر : ألفية ابن مالك (باب المفعول المطلق) .

(٣) أما صفتا النزول واليد فقد سبق الكلام عنهما ، وأما صفة المجيء فدليلها قوله =

فما وصف الله به نفسه منها فهو حق ولائق بكماله وجلاله لا يشبه

= تعالى في سورة الفجر : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر :٢٢] ، فأهل السنة والجماعة يثبتون المجيء لله عز وجل على الوجه اللائق به من دون تكييف ولا تشبيه ، ولا تأويل ولا تعطيل ، وذلك في يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق .

وأما صفة الأصابع فمن أدلتها قوله عليه الصلاة والسلام: « **ما من قلب إلا هو معلق بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه** » . الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٨٢ ، وابن ماجه في سننه ١/ ١٩٩ ، والحاكم في مستدركه ١/ ٥٢٥ وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٥٧٤٧ .

وأما صفة العجب فدليلها قراءة حمزة والكسائي في قوله تعالى : ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات :١٢] بضم التاء ﴿بل عجبتُ﴾ ؛ فهذه القراءة فيها الإخبار عن الله عز وجل بأنه عَجِبَ وهي قراءة علي رضي الله عنه وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين . انظر تفسير زاد المسير في سورة الصافات عند قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ .

وقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **عجب ربُّنا من قوم يُقادون إلى الجنة في السلاسل** ». وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه (٣٠١٠) ، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٠٢ ، وأبوداوود في سننه ٣/ ٢٦٧٧ . وأما صفة الضحك فدليلها قوله عليه الصلاة والسلام : «**يتجلَّى لنا ربنا ضاحكاً يوم القيامة**» . والحديث صحيح رواه مسلم (١٧٥٥) عن جابر رضي الله عنه ، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٤٠٧ ، والطبراني في الكبير (٩٣٦٢) عن أبي موسى رضي الله عنه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠١٨) ، والسلسلة الصحيحة (٧٥٥) .

شيئاً من صفات المخلوقين ، وما وصف به المخلوق حق مناسب لعجزه وفناه وافتقاره .

وهذا الكلام الكثير أوضحه الله في كلمتين ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ تنزيه بلا تعطيل ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إيمان بلا تمثيل .

فيجب من أوَّلِ الآية : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ التنزيه الكامل الذي ليس فيه تعطيل ، ويلزم من قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الإيمان بجميع الصفات الذي ليس فيه تمثيل ؛ فأول الآية تنزيه وآخرها إثبات وإيمان .

وقد سبق أن ذكرنا الأسس التي تركز عليها هذا البحث ؛ وهي تنزيه الله عن مشابهة الخلق ، والإيمان بالصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، وقطع الطمع عن إدراك الكيفية .

فلو مِتُّمْ يا إخواني وأنتم على هذا المعتقد أترون الله يوم القيامة يقول لكم : لِمَ نزهتموني عن مشابهة الخلق ويلومُكُم على ذلك ؟ كلا والله ، لا يلومكم على ذلك ! .

أترَون أنه يلومكم على أنكم آمنتم بصفاته ، وصدَّقتم بما أثنى به على نفسه فيقول لكم : لِمَ تثبتون ما أثبته لنفسي أو أثبته لي رسولي؟ لا والله ، لا يلومكم على ذلك !

ولا تأتيكم عاقبة سيئة من ذلك ، كذلك لا يلومكم الله يوم القيامة ويقول لكم : لِمَ قطعتم إدراك الطمع عن إدراك الكيفية ، ولَمْ تحددوني بكيفية مُدركة ؟.

[الرد على من سأل عن كيفية إثبات صفات الله عز وجل عن طريق العقل[1]]

فلو قال متنطع : نحن لا ندرك كيفيةَ نزولٍ منزهةً عن نزول الخلق ، وكيفية يدٍ منزَّهةً عن يد المخلوق ، وكيفية استواءٍ منزهةً عن استواء المخلوق ؛ فبيِّنوا لنا كيفيةً معقولةً منزهةً تدركها عقولنا !

فنقول :

أولاً : هذا هوالسؤال الذي قال عنه الإمام مالك « والسؤال عنه

---

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله عند قوله تعالى : « ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] أقسم الله سبحانه أنَّا لا نؤمن حتى نُحكِّم رسوله في جميع ما شجر بيننا ، وتتسع صدورنا لحكمه ، فلا يبقى فيها حرج ، ونسلِّم لحكمه تسليماً ، فلا نعارضه بعقل ولا رأي ، فقد أقسم سبحانه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول ﷺ ، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه » . انتهى . انظر : مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٨٩-٩٠) .

بدعة » ولكن نجيب ونقول :

أعرفت أيها المتنطع السائل الضَّال كيفية الذات المقدسة الكريمة المتصفة بصفات النزول وصفة اليد وصفة الاستواء وصفة السمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم ؟ .

فلابد أن يقول : لا .

فنقول : معرفة كيفية الصفة متوقفٌ على معرفة كيفية الذات ، إذ الموصوفات تختلف باختلاف ذواتها .

فإن قال هذا المتنطع هو ذات لا كالذوات .

قلنا : وموصوف بصفات لا كغيره من الصفات ، فسبحان من أحاط بكل شيء ولم يُحط به شيء .

ونضرب مثالاً ولله المثل الأعلى ، فإن الأمثال لا تُضرب لله ، ولكن الأخرويات لا مانع منها كما جاء به القرآن الكريم ؛ فنقول مثلاً كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله[1] : لفظ الرأس ، الراء

---

(١) هو الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية . ولد سنة ٦٩١هـ وسمع الحديث واشتغل بالعلم فبرع في علوم كثيرة لاسيما علم الحديث والتفسير والأصلين ، وكان ملازماً لشيخ الإسلام ابن تيمية بعد قدومه من الديار المصرية إلى أن مات شيخه ، فأخذ عنه علماً جماً ، وله مصنفات كثيرة قيِّمة ومفيدة ، من أشهرها : « زاد المعاد في هدي خير العباد » ، و«إعلام الموقعين عن رب العالمين» ، و « مدارج السالكين » =

والهمزة والسين ، « رأس » هذه الكلمة أضفها إلى المال ، وأضفها إلى الوادي ، وأضفها إلى الجبل . فقل : رأس المال ، ورأس الوادي ، ورأس الجبل ؛ فانظر ما صار من الاختلاف بين هذه المعاني بحسب هذه الإضافات ، وهذا في مخلوق ضعيف مسكين ، فما بالك بالبون الشاسع الذي بين صفة الخالق وصفة المخلوق[1] .

ولو قال معطِّل متنطع : القرآن نزل بلسان عربي مبين ، والعرب لا تعرف في لغتها للاستواء إلا هذا المشاهد في المخلوقين ، فيكون إثباته تشبيهاً بحسب ما دلَّ عليه الوضع العربي الذي نزل به القرآن .

فالجواب عن هذه الشُّبَه من وجهين :

الوجه الأول : نقول : إن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم يعرفون كل المعرفة من وضع لغتهم ومعانيها أن بين الخالق والمخلوق ، والرازق والمرزوق ، والـمُحيي والمُحيَا ، والـمُمِيت والمُمات ، يعلمون أن بينهما فوارق عظيمة هائلة لا يُقدَّر قدرها ، مستلزمة كل الاستلزام لتباين صفاتهم ، وأن تكون صفات هذا متعالية متعاظمة

= وغيرها . توفي رحمه الله سنة ٧٥١هـ بدمشق . انظر البداية والنهاية ١٨/ ٥٢٣ بتحقيق التركي .

(١) ذكر ابن القيم قريباً من هذا المعنى في كتابه « الصواعق المرسلة » . انظر : مختصر الصواعق للموصلي ٢/ ٥٠٢ ط. أضواء السلف .

إلى اللياقة بذاته ، وأن تكون صفات هذا منحطة منخفضة متواضعة إلى قدر ذاته ، فانحطاط صفة المخلوق عن صفة الخالق كانحطاط ذات المخلوق عن عظمة ذات الخالق جل وعلا ، فهذا يعرفه أهل اللسان من لغتهم ، ولذا لم يكن الأعراب البدو يلتبس عليهم هذا ؛ لأنهم يعلمون أن بين الخالق والمخلوق فوارق عظيمة هائلة يلزمها تباين الصفات .

الوجه الثاني : أن نقول : القرآن نزل بلسان عربي مبين ، وقد أقررتم بأن الله سميع بصير ، والعرب لا تعرف في لغتها معنىً للسمع والبصر ولا يدركون ذلك غير هذا المشاهد بالجارحة في الحيوانات ، فهل يعلمون كيفية له غير هذا ؟ .

الجواب : لا ، أبداً ، فإن قالوا : لا نعلم للسمع والبصر كيفية إلا المشاهد في الحيوانات ، لكنا نعلم أن سمع الله وبصره منزّهان عن مشابهة أسماع الخلق وأبصارهم لتنزيه ذاته عن ذواتهم وصفاته عن صفاتهم .. قلنا : وكذلك نقول في الاستواء في سائر صفاته جل وعلا.

ونحن الآن ـ أيها المسلمون ـ تسير بنا الأيام والليالي لحظاتها ودقائقها وثوانيها إلى القبور ، وعن قليل نُنْشَر من القبور إلى عرصات يوم القيامة ، والله سائلنا جميعاً كما قال : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ

إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢] .

واعلموا أيها الإخوان أنه لا يؤمن أن يسألنا خالقنا : ماذا كنتم تقولون في صفاتي التي مدحتُ بها نفسي ، كاستوائي على عرشي؟ .

فإني مدحتُ نفسي في سبع آيات من كتابي بأني استويتُ على عرشي ، ماذا كنتم تقولون فيما مدحتُ به نفسي؟ .

أكنتم تقولون : إن ظاهره خبيث ، وأنه قذر نجس وتشبيه ؛ فتنفونه وتحرفون كلامي ، وتجيئون بقول لم أقله ، كالذين قلت فيهم : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[٣] ؟ .

أم كنتم تُنزِّهونني ، وتعلمون أني لا أُثني على نفسي إلا بصفة كمال وجلال لائقة مقدَّسة معظَّمة منزَّهة ، وتثبتون ما أثبت لنفسي إثباتاً مبنياً على أساس التنزيه على نحو : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤] .

---

(١) الآية ٦ ، من سورة الأعراف .

(٢) الآية ٩٢ ، من سورة الحجر .

(٣) الآية ٥٩ ، من سورة البقرة .

(٤) الآية ١١ ، من سورة الشورى .

وأنا أؤكد لكم بمعرفة القرآن العظيم ونحن في دار الدنيا أن مَنْ مات منكم وحُشر ونُشر ولقي الله جل وعلا على هذه العقيدة السلفية التي نُلقّنُكم إياها في دار الدنيا ؛ أنه يأتي آمناً من كل توبيخٍ وتقريع يأتيه من قِبل واحدٍ من هذه الأسس الثلاثة :

أما الأساس الأول الذي هو تنزيه الله عن مشابهة خلقه : فوالله لا يأتي أحداً منكم بسببه بليّة ولا تقريع ولا عذاب أبداً ، فلا يقول الله لأحدكم موبخاً له ومُقرّعاً : لِمَ كنت في دار الدنيا تنزهني عن مشابهة خلقي ؟ لا والله ، وهذا الأساس هو طريق سلامة محققة لا يشك فيها عاقل .

وكذلك الأساس الثاني ، وهو الإيمان بصفات الله ، وتصديق الله عز وجل في كتابه ، وتصديق رسوله ﷺ في سنته الصحيحة بما مدح الله به نفسه أو مدحه به رسوله تصديقاً مبنياً على أساس التنزيه ، فلا يقول الله لأحدٍ منكم يوم القيامة مُوبِّخاً له ومُقرّعاً : لِمَ كنت تصدقني فيما أثنيت به على نفسي ؟ وتؤمن بالصفات التي مدحتُ بها نفسي إيماناً مبنياً على أساس التنزيه ؟ لا والله ، لا تأتي أحداً منكم بليّةٌ من هذا الأساس ، ولا يقول الله لكم : لِمَ كنتم في دار الدنيا تقولون : إن العقول البشرية لا تحيط بالله ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ

عِلْمًا﴾[١] ؛ فهذه عقيدة السلف الصحيحة الصافية من كل شائبة تشبيه، ومن كل شائبة تعطيل ، فهي طريق سلامة محققة ، كلها عملٌ بنور القرآن العظيم ، لا تختلجها شكوك ، ولا تتطرق إليها أوهام ؛ لأن أول أساسها تنزيه خالق السموات والأرض عن مشابهة الخلق ، فهي مبنية على ثلاثة أسس كلها واضحةٌ من نور القرآن العظيم .

فالذي نوصي به أنفسنا وإخواننا المسلمين تقوى الله ، وأن لا يتهجموا على صفات الله بأن ظاهرها غير لائق ، وأنه ظاهر خبيث ، وأن لا يتهجموا بنفيها ، بل ينزهون خالقهم أولاً ثم يصدقونه فيما مدح به نفسه ، فيؤمنون بما أثبت لنفسه إيماناً مبنياً على أساس ذلك التنزيه على نحو : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢] ، ويعلمون أن عقولهم المسكينة لها حدٌّ تقف عنده ، فهي عاجزة عن إدراك الإحاطة وكيفية الكُنْه ، وإنما أَكْثرنا من تكرار هذه المسألة لشدة الحاجة إليها ، ولأن كثيراً من الناس يدَّعي على صفات الله أن ظاهرها غير لائق به ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وختاماً أوصيكم يا إخواني ونفسي بتقوى الله عز وجل ، وأن لا

---

(١) انظر تفسير الآية رقم (٥٤) من سورة الأعراف من تفسير« أضواء البيان » .

(٢) الآية ١١ ، من سورة الشورى .

تتجادلوا في آيات الله بغير سلطان أتاكم ، والله جل وعلا يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] .

وقال أيضاً : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[2] .

وأرجو الله أن يجعل سعينا خالصاً لوجهه الكريم ، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

---

(١) الآية ٥٦ من سورة غافر .

(٢) الآية ٢٠ من سورة لقمان .

الخاتمة

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول والعمل ، وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ، وأن يثبتنا على معتقد السلف حتى نلقاه ، وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل .

بـــالله يـــا ناظـــراً فـــيه ومنـــتفعاً
مـــنه ســـلْ الله توفـــيقاً لجامعِـــهِ
وقـــلْ أنلْـــهُ إلـــهَ العـــرشِ مغفـــرةً
واقـــبل دُعـــاهُ واصـــرفْ عـــن موانعـــهِ
وخُـــصَّ نفسَـــكَ مـــن خـــيرٍ دعـــوتَ بـــه
ومـــن يقـــومُ بمـــا يكفـــي لطابعـــهِ
والمســـلمين جمـــيعاً مـــا بـــدا قمـــرٌ
أو كوكـــبٌ مســـتنير مـــن مطالعـــهِ

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

المراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري .
٣. الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، للشيخ عبدالعزيز السلمان .
٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، للألباني .
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .
٦. الأعلام ، للزركلي .
٧. أقسى اللذات ، للفخر الرازي .
٨. إلجام العوام عن علم الكلام ، لأبي حامد الغزالي .
٩. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للبيهقي .
١٠. بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية .
١١. البداية والنهاية ، لابن كثير الدمشقي .
١٢. تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي .
١٣. التحفة المهدية لشرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي .
١٤. ترجمة لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، للشيخ عبدالرحمن السديس .
١٥. التعريفات ، للشريف الجرجاني .
١٦. تعليق على العقيدة الطحاوية ، للشيخ عبدالعزيز بن باز .
١٧. تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير الدمشقي .
١٨. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ، لابن جرير الطبري .
١٩. تفسير فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني .
٢٠. التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة ، لأبي بكر الباقلاني.

٢١. تهذيب سير أعلام النبلاء ، لأحمد فايز الحمصي .
٢٢. الجامع الصغير ، للسيوطي .
٢٣. الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي .
٢٤. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي .
٢٥. حاشية الروض المربع على زاد المستقنع، لابن قاسم النجدي .
٢٦. حلية طالب العلم ، لبكر أبوزيد .
٢٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي .
٢٨. رجال الحاكم في مستدركه ، لمقبل بن هادي الوادعي .
٢٩. رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ، لمحمد الأمين الشنقيطي .
٣٠. الرد على الجهمية والزنادقة ، للإمام أحمد بن حنبل .
٣١. الرسالة التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣٢. روضة الناظر وجنة المناظر ، لابن قدامة المقدسي .
٣٣. زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي .
٣٤. سنن أبي داوود .
٣٥. سنن ابن ماجه .
٣٦. سنن الترمذي .
٣٧. سنن النسائي .
٣٨. سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي .
٣٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي .
٤٠. شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي .
٤١. شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ صالح الفوزان .
٤٢. شرح القصيدة النونية لابن القيم ، للدكتور محمد خليل هراس .
٤٣. شرح حلية طالب العلم ، للشيخ ابن عثيمين .

٤٤. الشيعة الاثنا عشرية ، للشيخ ممدوح الحربي .
٤٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق شعيب الأناؤوط .
٤٦. صحيح البخاري .
٤٧. صحيح مسلم .
٤٨. الضعفاء والمتروكين ، لابن الجوزي .
٤٩. العدة في أصول الفقه ، للقاضي أبويعلى .
٥٠. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير لخالد بن عثمان السبت .
٥١. عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لإسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني .
٥٢. العقيدة الطحاوية شرح وتعليق ، للشيخ الألباني .
٥٣. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني .
٥٤. الفتاوى السعدية ، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي .
٥٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر .
٥٦. الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، للساعاتي .
٥٧. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ .
٥٨. الفتوى الحموية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٥٩. القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ ابن عثيمين .
٦٠. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة .
٦١. كتاب العظمة ن لأبي الشيخ الأصبهاني .
٦٢. كشاف المسائل الفقهية والعقدية من تفسير أضواء البيان ، لعبدالرحمن بن ظافر القشيري .
٦٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين الهندي .
٦٤. لسان العرب ، لابن منظور .
٦٥. لسان الميزان ، للحافظ ابن حجر العسقلاني .

٦٦. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، لمحمد السفاريني الحنبلي .
٦٧. مجمل اللغة ، لابن فارس الرازي .
٦٨. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، لابن قاسم .
٦٩. مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز .
٧٠. محاضرة في آيات الصفات ، للشيخ الشنقيطي .
٧١. مختصر الصواعق المرسلة ، لمحمد بن الموصلي .
٧٢. مراقي السعود إلى مراقي السعود ، لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الشنقيطي.
٧٣. المستدرك : الحاكم .
٧٤. المستصفى من علم الأصول ، لأبي حامد الغزالي .
٧٥. مسند الإمام الشافعي .
٧٦. المصنف لابن أبي شيبة ، الطبعة السلفية .
٧٧. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ، لمحمد بن حسين الجيزاني .
٧٨. معجم ألفاظ العقيدة ، لعامر بن عبدالله بن فالح .
٧٩. معجم المؤلفين ، لعمر كحالة .
٨٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لفؤاد محمد عبدالباقي .
٨١. المعجم الوسيط ، لجنة مجمع اللغة العربية .
٨٢. المغني في الضعفاء ، الذهبي .
٨٣. الملل والنحل ، للشهرستاني .
٨٤. المنتقى من منهاج السنة والاعتدال للذهبي .
٨٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، بإشراف الدكتور مانع الجهني .

* * *

فهرس الآيات القرآنية

* * *

فهرس الأحاديث والآثار

* * *

فهرس الفرق المترجم لها

* * *

فهرس الأعلام المترجم لهم

* * *

فهرس الموضوعات

